

انما القول وحده ليس يكفي ... لوصول بنا الى الغايات
فخذو امركم على ضوء دين ... هو أبقى لنا من الباقيات
واعملوا واعملوا وكونوا هداة ... مثل من مر من كرام هداة .

المباحث

في الادب والفن والتاريخ والفلسفة

هذا العـــــدد

١٢ صفحة

١٥ فرنكا

[بقية الانباء الادبية]

— وافق مجلس الوزارة بمصر على زيادة اعضاء مجمع فؤاد الاول على اللغة العربية بحيث لا يقل عددهم عن ثلاثين ولا يزيد على اربعين يختارون من بين العلماء المعروفين في تبحرهم في اللغة العربية وآدابها او في العلوم والفنون ويجوز ان يكون بينهم عدد من العلماء غير المصريين لايتجاوز العشرة

***

— تأسس في القدس معهد عال للادارة والسياسة والاقتصاد لاعداد الشبان لتولي ادارة الاعمال التجارية والصناعية واشغال المراكز الرئيسية في المؤسسات العامة ودوائر الحكومة . وأعد له منهج خاص يقطع في اربع سنوات . وهو اول معهد عربي من نوعه .

***

— عقد معهد الاستشراق بلينينغراد (روسيا) جلسة خاصة لدراسة موضوع المصادر العربية لتاريخ اوروبا الشرقية والشعوب السلافية . وافتتح الجلسة الاستاذ كراتشفويفسكي بخطاب عرض فيه لمسألة وضع سفر للمصادر الشرقية التي تتعلق بتاريخ اوروبا الشرقية والشعوب التي كانت تقطنها في العصور الوسطى واشار الى ترجمة مذكرات ابن فضلان عندما كان سفيرا لدى البلاط البلغاري وقال ان هذه الترجمة طبعت في عام ١٩٣٩ بزيادة شرح عليها . وفي هذا العام نشر جزءان لترجمة المصادر الشرقية عن آثار التركمان . ثم استطرد قائلا : ان دراسة المؤلفين العرب الذين عنوا بالتنظيم العسكري لشعوب الفولغا هي دراسة طريفة مفيدة اذ ان المعلومات الموثوق بها عن التنظيم العسكري لشعوب الجزر تجدها في مؤلفات المسعودي في القرن العاشر وهذه المؤلفات مؤيدة بشهادة ابن فضلان نفسه . وقدم ياكوبوفسكي العضو المراسل في المعهد تقريرا دون فيه ملاحظاته عن دخول المسلمين الى منطقة الفولغا عن طريق خوارزم .

عن مجلة الكتاب

***

— افتتحت الفرقة المصرية موسمها التمثيلي هذا العام برواية « حواء الخالدة » او عبلة وعنترة من تاليف الاستاذ محمود تيمور بك واخراج الاستاذ زكي طليمات . ولقد كان الاخراج وفيا صادقا تآلفت فيه فكرة المؤلف وهي العزوف عن تصوير عبلة وعنترة بما هو ماثور عنهما من الاغراق في البطولة وعنف في الحب المضني الى تصويرهما انسانين يشعران بما يشعر به الناس من متباين العواطف البشرية .

***

— اتمت لجنة احياء آثار ابي العلاء تحقيق القسم الثاني من السفر الثاني من آثار ابي العلاء وطبعه وهو يتضمن شروح التبريزي والبطليوسي والخوارزمي لسقط الزند . وقد بقي من هذه الشروح نحو مجلدين تعمل اللجنة في تحقيقهما ووضع فهارس فنية متنوعة لهذه الشروح

***

— دعيت جامعة فؤاد الاول للاشتراك في مؤتمر الفلاسفة الذي يعقد في رومة باشراف المعهد الايطالي للدراسات الفلسفية وهو اول مؤتمر من نوعه يعقد في اعقاب الحرب .

***

— يفتتح اتحاد المكتبات البريطانية مدرسة للتدريب على اعمال المكتبات في القاهرة باشراف المعهد البريطاني .

***

— في نية معالي محمود فخري باشا ان يطبع في القاهرة كتاب « تاريخ مصر السياسي والدبلوماسي » منذ عصر محمد علي الى اليوم وكان معاليه قد صرف الجهد الى وضعه في السنوات الاخيرة .

***

— انشأت وزارة المعارف المصرية مكتبا في باريس للدعاية ونشر الثقافة العربية والقاء المحاضرات وزودته بمكتبة نفيسة وهذا المكتب على نسق المعهد الثقافي العربي الذي اسس بلندن في غضون الحرب .

***

— يظهر قريبا الجزء الثاني من كتاب « الضاحك الباكي » للاستاذ فكري اباظة بك نقيب الصحفيين . ويمتاز عن الجزء الاول الذي طبع منذ سنوات عشر بفصول ضافية عن الصحافة واسرارها وزعمائها واقطابها ودخائلها .

***

— تدور مباحثة بين لجنة الثقافة العربية في فلسطين وحكومة المملكة الاردنية الهاشمية لاقامة معرض الكتاب العربي في عاصمة شرق الاردن .

***

— عقدت لجنة الثقافة العربية اجتماعا لجميع اعضائها وقررت فيه الاستمرار في القاء المحاضرات في مختلف المدن الفلسطينية ودرس مشروع اقامة دار للكتب في القدس واسناد جائزة الى احسن مؤلف عربي سنة ١٩٤٧ والاهتمام باصدار مجلة تعبر عن النشاط العقلي والادبي في البلاد .

***

— ورد في احصاء نشرته بعض المصادر الاجنبية ان عدد الكتب العربية التي صدرت في فلسطين ما بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٣٥ ٣٠٩ كتب

***

— تألفت في بيروت ندوة ادبية عرفت باسم « الندوة اللبنانية » غايتها تنظيم سلاسل من المحاضرات الثقافية والاجتماعية والتاريخية والادبية والفنية يلقيها جماعة من اصحاب الاختصاص في كل علم وفن . « والندوة اللبنانية » جامعة شعبية تساعد طلاب المعرفة في مواصلة ثقافتهم العامة .

الكتب

كتب ظهرت حديثا

علم الاجتماع الديني
تاليف الاستاذ توفيق الياس شلحت — مكتبة الامنية — حلب ١٩٤٦

قوس قزح — تاليف الدكتور شكيب الجابري دار يقظة العربية دمشق ١٩٤٦ — وهي قصة غرامية فلسفية

ترجمة عربية لرواية فوستاف فلوبير « سلمبو » قام بها سامي الرياشي (كنوز الفكر العربي — بيروت ١٩٤٦)

قضية فلسطين — للدكتور نجيب صدقة به مقدمة بقلم عبد الرحمن عزام باشا والسيد جمال الحسيني (دار الكتب — بيروت)

حديث عن الفلسفة الاسلامية والثقافة الفرنسية بقلم الاب تاوي (بالفرنسية) وهو الكتاب الاول من سلسلة « استرجاع التراث الثقافي الفرنسي » دار (هاينتز) للطباعة وهران — ٨٠١ ص من القطع المتوسط .

طليطلة المدينة العظيمة التي كونت وكيفت النهضة في العصور الوسطى وهو عنوان عام لكتابين بالفرنسية

الاول: طليطلة نقطة الوصل بين الثقافتين الاسلامية والنصرانية

الثاني: دائرة الحضارة بالبحر الابيض المتوسط وهران — دار (هاينتز) للطباعة

نابليون تاليف ايميل لدفيق وتعريب محمود ابراهيم الدسوقي مصر دار الكاتب المصري مجلدان (٧٠٠) ص ١٩٤٦

— نابليون تاليف اميل لودفيق وتعريب محمد عادل زعيتر مجلد واحد (٥٥٦) ص مصر دار احياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٤٦)

— نحل عبر النحل تاليف تقي الدين المقريزي عني بتحقيقه ونشره وتعليق حواشيه جمال الدين الشيال — القاهرة مطبعة الخانجي ١٩٤٦ — ١٢٦ ص من القطع المتوسط

— عربي يروي قصته (بالانكليزية) تاليف ادوارد عطية — لندن مطبعة جون مري ١٩٤٦ ٢٢٩ ص من القطع المتوسط

— كليمنصو وحياته العاصفة تاليف ليون دودي وتعريب حسن محمود حسن — مصر ١٩٤٦ كتاب مصور طبعته مطبعة الكاتب المصري

— مشكلة السلوك السيكوباتي (كتاب في ناحية غريبة من ميدان علم النفس — بالعربية) تاليف الدكتور صبري جرجس مصر مطبعة دار المعارف ١٩٤٦ —

— علم الاجتماع الديني (بالعربية) تاليف يوسف باسيل شلحت — حلب مكتبة الامنية — ١٩٤٦ — ١٧٨ ص من القطع المتوسط

— معلومات جديدة عن الفن المصري (بالفرنسية) تاليف مدام دي روش دي نوبلكور باريس مطبعة لاروس ١٩٤٦

— الوقائع الحربية بتونس وهو تقرير الجنرال اندرسون عنها نشرته بالانكليزية وزارة الحربية بلندن

— الاستكشافات بجزيرة العرب (منذ العصور القديمة الى اليوم) ترجم عن الانكليزية الى الفرنسية بقلم شارل موري باريس مطبعة بايو — ٣٥٧ ص من القطع المتوسط (سلسلة « المكتبة الجغرافية »)

— القرآن بحث جديد لمحمد صبيح القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي ٢٥٠ ص من القطع المتوسط

فهرست اهم الابواب

— صوت من السماء — القرآن وقريش — النبي والقرآن — لغة القرآن — قرآن مكة وقرآن المدينة — محاولات التقليد — موضوع القرآن — مصحف عثمان — القرآن في عهد ابي بكر — في عهد عثمان — بعد عثمان — ترتيب السور —

— القى الاستاذ ماسينيون في قاعة محاضرات السربون بباريس محاضرة عن « أثر الحضارة العربية في الثقافة الفرنسية » كان لها صدى بعيد في نفوس الادباء والهيئات الادبية .

— قد صدر الجزء الاول والجزء الثاني من فهرست مكتبة الازهر . وسيكون لهذه المكتبة قريبا بناء جديد خاص .

— نشرت وزارة العدلية العراقية « مصطلحات القانون المدني » التي وضعها مجمع فؤاد الاول للغة العربية دورته التاسعة سنة ١٩٤٦ — ١٩٤٣

— يعنى الاستاذ عزرا الحداد بوضع تاليف شامل يتناول « تاريخ اليهود في العراق منذ اقدم العصور حتى الفتح الاسلامي » .

— من منشورات مكتبة الكشاف ومطبعتها في بيروت كتاب « تركيا الحديثة » للاستاذ عمر علي دروزة يعرض فيه المؤلف اهم مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تركيا الحديثة ولاسيما العمل الانقلابي الذي قام به باعث النهضة الزعيم كمال أتاتورك .

— قدم الاستاذ لوتسكي رسالة لنيل الدكتوراه في العلوم التاريخية من جامعة موسكو عن « قضية فلسطين » اثبت فيها ان فلسطين فقيرة في مواردها الاقتصادية ولكنها في مركز « ستراتيجي » من الدرجة الاولى لانها موقع مفتاح الشرق الادنى . ثم فصل المراحل التاريخية التي مرت بها قضية فلسطين الى ان تحولت الى ساحة مصادمات مستمرة بين العرب والصهيونيين .

صاحب الامتياز : محمود المعيرصي
طبع مطبعة « الارادة » — تونس

المباحث

مؤسسها : المرحوم محمد البشروش

المراسلات : تكون جميعا باسم رئيس قلم التحرير : المباحث ـ صندوق البريد عدد ٣٠٩ ـ تونس

(Al-Mabahith)
Case postale N° 309
Tunis

الاشتراك عن ١٢ عددا
تونس ...... ١٥٠ فرنك
الخارج .... ٣٠٠ فرنك
شمال افريقيا ١٨٠ فرنكا
الطلبة ...... ١٣٠ فرنكا

Compte courant postal N° 7329 Tunis

الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة

الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر

الى القــــارىء . . . .

بهذا العدد تختم مجلة « المباحث » السنة الثالثة من عهدها الجديد وهو العهد الذي استأنفت فيه نشاطها بفضل ما اشتهر به مديرها ومؤسسها صديقنا وزميلنا المرحوم محمد البشروش من عزم واعتناء ومثابرة وولوع ببث الادب ونشر الثقافة بين مواطنيه . . . استأنفت نشاطها ولكنها لم تجد الطريق معبدة بل وقفت في وجهها ضروب من العراقيل فلم تنثن عن سيرها ولم تيأس بل تدرعت بالصبر والثبات مؤمنة ايمانا راسخا انها تستطيع ان تسعى نحو غايتها وان تؤدي رسالتها رغم تلك الموانع .

ومما عزز ايمانها بشرف رسالتها انها جعلت رائدها الذود عن الثقافة الاسلامية العربية في هذه البلاد واحياء ما كان النسيان يطغى عليه من قيمها ، وابراز ما حجبه الجهل من نفيس معالمها .

وربما ظن بعضهم ان الذي دفعها في هذا السبيل العصبية الدينية أو العصبية القومية فسلكته عن غير روية .

ولكن المنصف المتبصر الذي تتبع سير هذه المجلة وراقب نزعاتها عن كثب لم يفته انها بريئة من كل تعصب مفرط وانها لم تنقطع الى خدمة الثقافة الاسلامية العربية إلّا لانها من ابرز مظاهر الحضارة العالمية واقواها حيوية واشدها ثباتا للزمان واقربها الى الخلود مما يجعل التغافل عن قيمتها والتقاعس عن نشرها والاعراض عن تلقيحها بما في سواها من العناصر الخصبة الصالحة ضربا من ضروب « الخيانة » و « الانهزام »

فأبت هذه المجلة الخيانة والانهزام و قتحمت العراقيل المادية ودعت نخبة من الامة التونسية الى تأدية رسالتها الثقافية والمساهمة في نهضة اللغة العربية في هذه الديار واخذت على عاتقها ان تطلع اهل الاقطار الشقيقة والاقطار الاجنبية على ما تنتجه جهود المثقفين من ابناء البلاد التونسية وعلى مشاركتهم اخوانهم المشارقة والمغاربة في شد ازر الحضارة الاسلامية والتنويه بما فيها من عناصر حية خالدة .

لقد كانت جهود هذه المجلة عرضة للفتور يهددها شبح الخيبة المخيف مما قضى على كثير من مؤسسات تونسية لا تكاد تبرز الى حيز الوجود حتى يطويها العدم . . . ولكن قراء المجلة الكرام واصدقاءها ادركوا صدق نيتها ونبل مرماها فالتفوا حولها وشجعوها تشجيعا شديد التأثير عزز جانبها ونفخ فيها الحياة والقوة والنشاط . فهي لهم من الشاكرين .

على ان هذه المجلة شاعرة كل الشعور بما يشوب جهودها من نقص وتعلم حق العلم أنها لم تبلغ بعد الغاية المثلى التي اليها تنزع وأنها لا تزال دون الدرجة التي تريد اسرتها ان تسمو بها اليها . ولكن القائمين على حياتها وازدهارها مجدون في رفع مستواها شيئا فشيئا بقدر ما تسمح به الاحوال العسيرة التي تعيش فيها هذه البلاد ـ فرج الله كربها ! ـ وبقدر ما يسمح به . . . تسامح الرقابة أراحنا الله منها وعجل بدفعها الي ظلمات العدم . . !

ويروق هذه المجلة ان تذكر اصدقاءها وانصارها انها لا تتعصب لمذهب ضيق من المذاهب الثقافية ولا تنتمي لطبقة خاصة من طبقات المثقفين . بل انها من اول بروزها جعلت رائدها حرية الفكر والقول وافساح المجال لكل كاتب او شاعر يأنس من نفسه القدرة على انتاج ما من شأنه ان يرفع ابناء القطر التونسي وكامل الشمال الافريقي الى المعرفة ويخرجهم من ظلمات الجهل ويحررهم من قيود البدع .

« المباحث »

الحســن بن الهيثـم

بقلم الاستاذ محمد السويسي

محاضرة القيت بمناسبة عيد الشباب بقاعة قدماء الصادقية في ٣١ مارس المنصرم .

في هذا اليوم يحتفل الشباب في جميع البلدان بعيده . . .

ولا ينبغي ان نرى في احتفالاته هذه هيجانا متهمجا ، لا منفعة فيه ، ولا يجدي شيئا . . . بل هو تدفق الحياة الجارفة ، هو انبعاث نحو الحرية ، نحو الغد الباسم ، وهي ارادة الحياة وتبوء الشاب للعمل المنوط بعهدته ولمقعده تحت الشمس ، دون نية العداء لاي كان ، ودون مشاغبة لاي كان . . . فهذه ارض الله واسعة . ويمكن كل مخلوق ان يحل المحل اللائق به على ظهرها ، اذا تغلب كل على انانيته ، واذا تغلب كل على الفكر الشيطانية اللعينة التي يسمح بها لنفسه الاعتداء على الغير والضغط عليه وافتكاك ما هو حق من حقوقه . . .

[البقية على صفحة ـ ٥]

دور القيروان والمهدية في الطور الثاني من اطوار الادب العربي بافريقيا والاندلس

بقلم الاستاذ الهادي العامري

ثم اذا حللنا القيروان في القرن الثالث والرابع او الطور الثاني من اطوار الادب العربي وجدنا هذا الادب قد رسخت قواعده وازدهرت خمائله وتضوع اريجه واستفحل امره وكثر منتحلوه. ثلاثماية شاعر بالقيروان يجتمعون في صعيد واحد يؤبنون عظيما من عظمائها ومئات من الاساتذة يعلمون ويكتبون الفقه وينشرون اصول الدين الاسلامي باللغة النقية في صيغة رائعة فنية مبلغين للرسالة الاسلامية والثقافة العرفانية على غير الاسلوب العقيم الذي لخص به مقلدو المذاهب في العصور المتأخرة قواعد الاسلام واصوله وتعاليمه فتعسفوا وآثروا الاختصار المخل وفتحوا ابواب التمحل والاقاويل. ومن الخطأ ان نهمل التحدث عن قيمة الكتب القيمة التى الفها اسلافنا الاولون وعبروا فيها عن الروح الاسلامي بتعابير

[البقية على صفحة ـ ٧]



بقلم السيد امين الشريف

المدنية كما نعرفها اليوم نتيجة لنشوء وتطور لهما من العمر ما لا يقل عن ستة آلاف عام. والمدنية قافلة تاريخية ساهمت في قيادتها شعوب كانت لكل منها حضارتها ومجدها وخدماتها . فهنالك المصريون الفراعنة ، وهنالك البابليون والفينيقيون ، وهنالك اليونان والرومان ، وهنالك البيزنطيون والعرب ، ثم تنتقل قيادة القافلة من آسيا الى اوربا والعالم الجديد ، حيث لا تزال الى اليوم تراثا موزعا بين شعوبها ، فالارض لله يورثها من يشاء من عباده .

[البقية على صفحة ـ ٤]

بقلم الاستاذ الصادق الزمرلي

(تابع لما جاء بالاعداد السابقة)

انطلقنا نبحث عن ادارة ذلك المعهد القديم للوقوف على ما ادخل على نظامه من اصلاح وتحسين لتحقيق راحة الطلبة وترقية اساليب التعليم للسير به في الطريق المستقيم ، فوجدنا اروقتها ودورها مكتظة بالتلاميذ قصد ترسيم اسمائهم بسجلات المعهد وتعيين المساكن المعدة لهم بالمدارس والفنادق المتفرقة بحارات العاصمة الشريفة وعلمنا ان الترتيب الحديث

[البقية على صفحة ـ ١٠]

في ميدان التعليم

أنسيان أم تناس أم ... ؟

لقد شاء نظام التعليم في هذا القطر ان يبلى ابناؤه في دراستهم بما عفي منه ابناء الاقطار الاخرى من تعلم لغتين منذ اول يوم يدخلون فيه المدرسة ولا يخفى ما يدخله ذلك من تعب وكلل وذبذبة على عقول الكثير منهم حتى انه لا يقدر على اجتياز التعليم الابتدائي بنجاح إلّا من خصه الله منهم بمواهب تفوق المواهب الاعتيادية اما الاخرون فانهم يتعوقون اثناء الطريق فينقطع بعضهم عن التعليم بنفسه (ان لم يطرده التعليم) ويبقى البعض الاخر يرزح بثبات وعزيمة الا انه لا يصل الى المرحلة الاخيرة إلّا بعد اجتياز العمر القانوني الذي يخول فيه الانخراط في التعليم الثانوي.

على ان تلك الاقلية من الاطفال التي تتمكن بفضل ما حظيت به من حسن الاستعداد من اجتياز عقبات التعليم الابتدائي قبل فوات العمر المحدود لا يسمح لها بالدخول الى التعليم الثانوي إلّا بعد امتحان خاص قد اطلق عليه اسم «امتحان الدخول الى القسم السادس» وما هذا الامتحان إلّا عقبة اخرى في طريق الاطفال وفي شانه نريد ان نبحث اليوم :

يحتوي هذا الامتحان على قسمين كتابيين اجباريين قسم عربي وقسم فرنسي

اما القسم العربي فيشتمل على املاء متبوع باسئلة في مادتي النحو واللغة

واما القسم الفرنسي فانه يتجزأ الى ثلاثة اجزاء :

١ – تلخيص نص فرنسي مع الاجابة عن اسئلة تتعلق بذلك النص

٢ – املاء متبوع باسئلة

٣ – اسئلة حسابية وحل مشكلة

ولا شك ان اصعب اجزاء الامتحان هو «التلخيص» اذ يطالب التلاميذ بتلخيص نص لا يعرفونه ولا يرونه باعينهم وانما يقرأ عليهم مرتين فقط ويستدعي هذا العمل من طرفهم سرعة الفهم وقوة الحافظة والمقدرة على التعبير تعبيرا فصيحا خالصا من اللحن كل ذلك في لغة غير لغتهم

اضف الى ذلك ان الاسئلة التي يطالبون بالاجابة عنها زيادة على التلخيص تتعلق «بميزة النص واهميته وخاصياته» (هكذا جاء في قرار ادارة التعليم العمومي)

ولقد كانت هذه المادة نفسها مقررة في نفس هذا الامتحان في فرنسا

اقول «كانت» لانها حذفت منذ شهر مارس عام ١٩٤٥ ولكنها حذفت في فرنسا لا هنا !

ولا يخفى ان ما ادى وزارة التعليم الفرنسية الى حذفها هو انها ادركت ان مطالبة المترشحين بها انما هي مخالفة شنيعة لقاعدة من ابسط القواعد البيداغوجية تحجر مطالبة الطفل بما فوق طاقته

وما كدنا نطلع هنا على القرار الوزيري الفرنسي الذي يحذف «التلخيص» من امتحان الدخول الى القسم السادس حتى استبشرنا وشعرنا بارتياح وباطمئنان على مستقبل الكثير من ابنائنا وذلك لتيقننا من قرب حذفه من نفس الامتحان بتونس لما عهدناه من مبادرة ادارة التعليم العمومي التونسية بادخال جميع ما يطرا من تغيير وتنقيح في التعليم بفرنسا على التعليم في هذه الديار

وبقينا ننتظر ...

ولم يطل انتظارنا اذ بعد ان فكرت ادارة التعليم في المسالة سنة كاملة (وما السنة بالنسبة الى ادارة التعليم ؟) اصدرت قرارا في التاسع عشر من شهر مارس عام ١٩٤٦ حذفت به «التلخيص» من امتحان الدخول الى القسم السادس

ولكن ...

ولكن ادارة التعليم لم تكد تصدر ذلك القرار حتى اردفته بمنشور في افريل من نفس السنة يؤجل تنفيذه ويقضي بمطالبة المترشحين الى القسم السادس في سنة ١٩٤٦ بمادة «التلخيص» وذلك بصفة استثنائية اذ ان معلميهم قد هيؤوهم لها في تلك السنة !

نعم ذلك ما قررته ادارة التعليم وهكذا عللته !

خشيت هذه الادارة ان يحتج عليها اولياء التلاميذ لمفاجأتها ابنائهم باعفائهم من مادة «التلخيص» وخشيت ايضا ان يشتكي المترشحون من التخفيف عليهم والتسهيل !

فبقينا نتساءل عما يدل عليه مثل هذا السلوك ومثل هذا التناقض من طرف ادارة التعليم : أبله ام سوء نية ؟

ولكن لم ينقطع منا الرجاء في رجوع الادارة الى الصواب اذ ان منشور شهر افريل ١٩٤٦ ينص على تاجيل تنفيذ قرار شهر مارس لا عن الغائه وتسلينا بانتظار الآجل عن فوات العاجل اذ سيراح ابناؤنا في سنة ١٩٤٧ مما لم تكتب لاخوانهم الاقالة منه في عام ١٩٤٦.

ثم مرت سنة ١٩٤٦ ووقع فيها الامتحان على صورته القديمة فنجح من نجح ورسب من رسب وقلنا : «عفا الله عما سلف فلننتظر العام المقبل وكل آت قريب !»

وحل عام ١٩٤٧ فجعلنا نترقب منشورا او قرارا من ادارة التعليم تؤيد به ما قررته وزارة التعليم الفرنسية سنة ١٩٤٥ وقررته هي نفسها عام ١٩٤٦ ثم اجلت تنفيذه

وفعلا لم تلبث الادارة ان اصدرت قرارا في السادس عشر من جانفي ١٩٤٧ في شان «امتحان الدخول الى القسم السادس»

ولكن ... ولكن يا للعجب ويا للتناقض ! اتى هذا القرار بعكس ما كنا نتوقع اذ اثبت مادة «التلخيص» في الامتحان المذكور ! مادة «التلخيص» المحذوفة نهائيا بفرنسا والمحذوفة بتونس مع تاجيل حذفها لمدة سنة !

ولا يخفى ما في هذا الاثبات النهائي من غرابة

نعم تلك وزارة التعليم بفرنسا تحذف مادة «التلخيص» من الامتحان لانها تعتبرها صعبة على التلميذ الفرنسي والفرنسية لغته القومية يتكلمها صباحا مساء منذ نطق لسانه مع ابيه وامه ومعلمه وتفرغ لتعلمها دون غيرها طيلة دراسته الابتدائية

ثم هذه ادارة التعليم بتونس تثبت تلك المادة كانها تراها سهلة على التلميذ التونسي الذي ليست الفرنسية لغته القومية ولا يتكلمها في منزله ولا مع اقرانه وانما تعلم نصيبا منها في المدرسة الابتدائية ولم يتفرغ لدرسها وحدها مثل اقرانه الفرنسيين بل درسها مع لغته العربية في آن واحد فاختلطت اللغتان الاثنتان في دماغه الوحيد اذ ليس له إلّا دماغ واحد كسائر الاطفال.

استغربنا والله كل الاستغراب من هذا الاثبات ونحن الآن نتساءل عما ترمي اليه الادارة بصنيعها هذا اذ انها اصدرت قرارا في حذف «التلخيص» تبعا لما قرر بفرنسا ثم اجلت تنفيذه ثم عدلت نهائيا عن تنفيذه واثبتت ما كانت اعلنت الغاءه

فلم هذا التناقض من طرف ادارة التعليم في سلوكها ولم هذا التهاون بحرمتها يا ترى ؟

او لعل ادارة التعليم نسيت قرار وزارة التعليم بفرنسا وقرارها هي

أفنسيتهما ام تناستهما ام ... ؟

المؤدب

جائزة «المباحث»

نظرا لطول بعض المؤلفات التي وردت علينا ولتغيب بعض اعضاء اللجنة الحاكمة فان اعضاء هذه اللجنة لم يفرغوا بعد من البحث في تلك المؤلفات وسنوافي المترشحين والقراء بنتيجة المباراة اثر ما يتم هذا العمل.

«المباحث»

جمعية اساتذة التاريخ والجغرافيا بتونس

بلغنا ان اعضاء هذه الجمعية اجتمعوا اخيرا وانتخبوا مجلسا جديدا يتركب من :

الاستاذ كالفي رئيس قسم التعليم الثانوي : رئيس – الانسة داج : نائبة الرئيس – الاستاذ صلاح الدين التلاتلي : كاتب – الانسة بوتينو نائبة الكاتب – الاستاذ باكيل : امين المال .

أنباء أدبية

عن بعض المجلات الشرقية

* وضعت اللجنة الثقافية السورية التابعة للجامعة العربية نظاما لتشجيع الانتاج الفكري وأقرت وسائل تنسيق الجهود التي تبذلها الدول العربية في سبيله . ثم وضعت نظاما آخر للتعاون في شؤون التربية والتعليم مع دول الجامعة العربية . كما انها اوصت باصدار تقويم للثقافة العربية يصدر مرة كل سنة يعرف بالمؤسسات والهيئات العلمية وانظمتها ورجال العلم والفن والادب .

* عزم نقيب المحامين بسوريا على انشاء مكتبة عامة تشتمل على خزائن خاصة تتوج كل واحدة منها باسم من اسماء اصحاب الجلالة ملوك البلاد العربية ورؤسائها . وستكون مرجعا ينتفع منه علماء الحقوق والمحامون والقضاة في سائر انحاء البلاد .

* يقوم فريق من الجغرافيين السوريين بتاسيس جمعية جغرافية علمية تضم جميع مدرسي هذا العلم في سوريا وكل من يرغب الانظمام اليها من جغرافيي البلاد العربية . وغايتها العمل على ايجاد مصور لسوريا يذكر فيه موارد الثروة والمعادن والمياه المعدنية والمناطق الغنية . وسيكون من غايات الجمعية الاشراف على كتب الجغرافية وتنظيم الرحلات العلمية الكشفية .

* احتفل لبنان في مستهل العام الجديد بعيد الجلاء بعد ان خلت ارضه من كل اثر للقوات الاجنبية . وقد شاركت لبنان اخواته البلدان العربية في احياء هذا المهرجان . وفي هذه المناسبة وجه فخامة رئيس الجمهورية كلمة الى اللبنانيين المقيمين والمغتربين مجد فيها ذكرى المجاهدين الذين استشهدوا في سبيل الاستقلال وازاح فخامته الستار عن نصب تاريخي جاءت فيه الكلمات الخالدة الاتية : «في ٣١ كانون الاول سنة ١٩٤٦ تم جلاء جميع الجيوش الاجنبية عن لبنان في عهد فخامة الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الجمهورية .»

* تقوم مديرية الاثار في لبنان بحفريات في مدينة صور التاريخية ظهرت فيها اعمدة رخامية يعتقد انها كانت لاحد الشوارع الرومانية المرصوصة بالرخام . وعثر المنقبون تحتها على ارض مرصعة بالفسيفساء .

* ابلغت امانة الجامعة العربية وزارة الخارجية اللبنانية ان اللجنة التحضيرية المنبثقة عن لجنة الثقافة العربية اتخذت قرارا بعقد المؤتمر العربي الثقافي في لبنان خلال فصل الصيف المقبل وان هذا القرار قد اتخذ بناء على اقتراح السنهوري باشا وزير المعارف في مصر ورئيس

(البقية على صفحة ١٢)

٤ - صناعة الورق والحرير النباتي

ليس في البلاد العربية اسلوب ناجع للتحريج فكل شجرة تقطع هي شجرة مفقودة لا نهتم بزراعة غيرها. وللخشب اهمية صناعية كبرى لا نعرفها، لاننا نستعمله فقط للوقود والبناء، فالخشب يستعمل بكثرة في صناعة الورق. وقد نستطيع، اذا لزم الامر، ان نستعمل القش والتين، اللذين لا قيمة كبرى لهما، في صناعة الورق وحتى في صناعة الحرير النباتي. وهذا ليس بمستحيل، ففي اوروبا واميركا مصانع عدة تستعمل الخشب لصناعة هذا النوع من الحرير.

٥ - صناعة السكر والكحول

هاتان صناعتان اساسيتان كان لهما حظ اكبر من بقية الصناعات، ففي البلاد العربية مصانع عدة للكحول وعدد اقل منها للسكر، على ان هذه المعامل لا تسد حاجة البلاد، فمن اللازم الاكثار منها حتى نستطيع الاستغناء عن الخارج.

هذه هي بعض الصناعات الزراعية، وهنالك الصناعات التي تعتمد على الثروة الحيوانية، كصناعة حفظ اللحوم، وصناعة دبغ الجلود، وصناعة منتجات الالبان، وصناعة الغراء والهلام (الجيلاتين) والاسمدة من عظام الحيوان.

ثم ننتقل الى الثروة المعدنية، فنجد في العراق النفط وبعض الكبريت وكميات لا بأس بها من الفحم الحجري الجيد، وفي فلسطين معين لا ينضب من الاملاح المعدنية في البحر الميت. وفي الجزيرة العربية النفط والذهب، وفي مصر يوجد الحديد بكثرة كما يوجد المنغنيز والفوسفات والنفط والنطرون (كربونات وبيكاربونات الصودا)، وفي شرق الاردن وتونس كميات هائلة من فوسفات الكلس الذي يمكن تحويله الى سماد كيماوي بعملية صناعية غاية في البساطة، وفي مراكش يوجد الرصاص والحديد والنحاس والمنغنيز والاثمد والخارصين والباريوم والكوبولت والمليدنوم والفوسفات والفحم الحجري

هذه هي بلادنا وهذه هي ثروتنا، فما عسانا فاعلين من اجل استغلالها وتدعيمها؟ لتدعيم هذه الثروة والاستفادة منها نحتاج الى امور ثلاثة:

الحماية القمركية القائمة على أساس التبادل

فمن العبث ان نحاول مضاربة المنتجات الاجنبية ونحن في اول نهضتنا الصناعية لذلك فان السياسة والعلم يجب ان يسيرا جنبا الى جنب، فمتى ازدهرت صناعتنا في ظل الحماية القمركية وتحسنت منتوجاتنا استطعنا عندئذ ان نقف في وجه كل مضاربة اجنبية

٢ - اعداد الاخصائيين

لان الاخصائيين هم القوة المحركة في الصناعة، ولاننا مهما بلغت ثروتنا الاقتصادية فنحن نظل مستعمرين صناعيا ما دمنا في حاجة الى اخصائيين اجانب لادارة معاملنا

٣ - انشاء معهد للابحاث

تشرف عليه الجامعة العربية وتيسر من خلاله السبيل للبحث والتنقيب واجراء التجارب العلمية والصناعية حتى لا نرى انفسنا مضطرين الى استشارة الخبراء الاجانب كلما واجهتنا احدى المعضلات العلمية.

على هذه الاسس الثلاث ترتكز دوافع تقدمنا الاقتصادي، فنحن الذين نعيش اليوم في كنف جامعة عربية سياسية نود ان نرى هذه الجامعة تقوم على اسس صحيحة من الاستقلال الاقتصادي الذي لا حياة لها بدونه، فنستطيع بهذه الجامعة العربية الاقتصادية والسياسية ان نصمد في وجه اية قوة تنازعنا حق البقاء، وذلك لا لان الوحدة حلم قومي جميل فحسب بل لان الوحدة شيء عملي ايجابي واساس متين لكل تقدم

وبعد، فيا ايها الطالب العربي، هذا يومك تفكر فيه بخدمة بلادك، فاستبن الرشد من الغي ولا تتبع من ضل سواء السبيل.

بلادنا العربية تحتاج الى بناء كثير والى بنائين عديدين، فليكن كل منكم بناءا في صرح الوحدة العربية، وليضع كل منكم حجره بامانة واخلاص، حتى لا يكون في البناء الشامخ ضعف او لين، فالتاريخ سوف لا يحاسب كلا منا على ما وضعه من احجار، بل سينظر الى البناء باكمله ثم يصدر حكمه عليه.

بلادنا العربية بحاجة الى اخصائيين فنيين يعتمد عليهم للنهوض باقتصاديات البلاد.

بلادنا العربية تناشدنا ان نطرح ميوعتنا وخمولنا ونشحذ عزمنا ونشاطنا لنتبوأ المركز اللائق بنا، عسى ان يأتي يوم لا نردد فيه ما قاله امين الريحاني رحمه الله:

«انا الشرق، عندي ديانات وفلسفات، فمن يبيعني بها طائرات ودبابات؟»

بلادنا العربية تهيب بنا ان نعمل معا يدا واحدة لكي نؤدي رسالة العرب كاملة غير منقوصة فيردد التاريخ عندئذ ما قاله الله في كتابه العزيز:

«كنتم خير أمة اخرجت للناس»

في عنقنا امانة هي في عنق كل من يرى النور، فمن يرى النور ولا يحاول السير اليه فهو خامل لا يستحق الحياة.

رأينا نور الوحدة الاقتصادية والسياسية فيجب ان نسير في الطريق المؤدية اليها، وقد لا نستطيع ان نبلغ منبع النور في إبان حياتنا، ولكن لا بأس، فإنه يكفينا فخرا ان نكون من اوائل الذين ساروا في الطريق السوي، لاننا واجدون من خلود امتاخير جزاء لنا وخير تقدير.

اسأل الله ان يسدد خطانا جميعا الى ما فيه خير هذه الامة ورفعتها، ان الله تعالى هو ولي التوفيق.

امين احمد الشريف

* هذا خطاب القاه صاحب الامضاء في الاحتفال السنوي لجمعية «العروة الوثقى» بيوم الطالب العربي، في ماي سنة ١٩٤٦

الحسن بن الهيثم

[بقلم الاستاذ محمد السويسي]

[بقية ما بصفحة - ٣]

فالشباب لا يرى تنازع البقاء إلا كفكرة عدائية اتى بها الكهول لتقييد الشاب والتضييق عليه... لا يرى الشباب تنازع البقاء. اذ في روحه من الحيوية المتدفقة ما يجعله يؤمن ببقائه رغم كل شيء، بل ما يجعله يؤمن بنشوئه ونموه ورقيه رغم كل العقبات التي تعترضه... فهو لا محالة مقتحمها، وهو لا محالة مجتاز اياها. وان تعددت، وان تراكمت في وجهه...

ولكن الشباب، قبل الانبعاث في سبل الحياة، يقف وقفة المستوحي ناشدا الروح العنصرية الطبيعية الموافقة لنشوئه... فهذا شبابنا يرجع البصر، ثم يرجع البصر كرتين، مفكرا في السبل التي اتبعتها أمتنا العربية الاسلامية كي يواصل السير، متقدما في طريقه... وان تعددت الطرقات، - وان صعب على الخامل عند مفترق الطرق ان يختار السبيل المثلى -. فما وقفة شبابنا إلا وقفة المتحفز، عالما ان سبيله مستقيمة، هي هي، ولا يمكنه العدول عنها، اذ هو يطمح دائما الى الحياة لا الى الموت في غضون الاندماج في اي عنصر كان مخالف له في الاصل والنسب والتفكير والعقلية والنزعة...

وهذا شبابنا ينظر في تاريخه ويستمد منه القوة اللازمة لمواصلة السير... فلنتبع خطاه، ولنتصفح معه بعض الصفحات من تاريخنا، خصوصا من الناحية العلمية، حتى نقف معه على الاثر، لا لنبكي ونستبكي، ولا لنتذكر ونذكر فحسب بل لنقيس المسافة التي قطعناها ولنأتي بحجارتنا لترميم البناء القديم وتشييد صرحنا العلمي، رافعين رأسه الى هامة الفراقد...

ونحن سنلتفت في جولتنا التاريخية العلمية الى ما وصل اليه التفكير العلمي في باقي بقاع الارض، وسننظر بين ذلكم التفكير وبين ما وصل اليه فحول علمائنا في هذا الصدد...

وسنختصر جولتنا وسنقصرها على درس حياة عالم من علمائنا الافذاذ: ابن الهيثم، حتى لا يطول الحديث وحتى لا يتشتت التفكير، وسنستنتج الدرس الذي توحي لنا به حياته

***

نحن في منتصف القرن الرابع للهجرة، على ضفاف دجلة والفرات، حيث زها العيش، ونفقت سوق العلم بعد ما كسدت... وقد تم عصر الترجمة والنقل عن اليونانية والفارسية وجمعت كتب الهندسة والحسابيات والطبيعة والفلسفة والطب، وشرع علماء العرب في الانشاء والابداع ونشأ الكندي والفارابي والرازي وجابر والخوارزمي وثابت بن قرة والفرغاني والبتاني، فكانت آثارهم غرة في جبين العلم من فلك وحساب وجبر وحيل وفلسفة وطب، وكان لكتبهم اعظم الرواج وتناهت سمعتها الى حدود الاراضي الاسلامية، فدخلت اوربا وكانت المعتمدة في كل فن من التعليم العالي في كليات الغرب الى عصر النهضة....

ففي هذا الجو الذي ملأت ارجاءه نفحات العلم بانواعه نشأ الحسن ابو علي بن الحسن بن الهيثم وولد بالبصرة سنة ٣٥٤ هـ وعني باقتناء العلوم العقلية وملأ منها الوطاب، وكان منهافتا على كتب الاقدمين والمتأخرين غير تارك لشاردة ولا واردة، ولخص جميع ما قرأ من الكتب وطبق ما نقله ولخصه على بعض المسائل التي يحتاج اليها في البلاد الاسلامية، فمن ذلكم مقالته في «استخراج سمت القبلة» ومقالته «فيما تدعو اليه الامور الشرعية من الامور الهندسية». وكان عدد ما صنفه في الفلسفة والطبيعة يفوق اربعين كتابا وعدد ما خصه بالرياضيات والعلوم العقلية يفوق الخمسة والعشرين، وكان يقصد من مصنفاته هاته ثلاثة اغراض كما يقول في مقدمة نقلها عنه ابن ابي أصيبعة:

«وانا - ما مدت لي الحياة - باذل جهدي ومستفرغ قوتي في مثل ذلك متوخيا منه امورا ثلاثة. احدها افادة من يطلب الحق ويؤثره، في حياتي وبعد مماتي، والآخر اني جعلت ذلك ارتياضا لي بهذه الامور في إثبات ما تصوره وأتقنه فكري من تلك العلوم، والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة واوان الهرم.»...

فأتت الرياضة الفكرية بمنتوجها، وداخلت فكر ابن الهيثم روح الابداع ومر بمخيلته شبح نظريات جديدة، علقت بذهنه، وقضى في البحث عن كنهها الليالي الطوال بل السنين الطوال....

وطال المخاض، وعسر الانتاج، ولم يتسارع ابن الهيثم الى نشر ما رآه من النظريات الجديدة بل قضى عمره دارسا، منقبا، مصلحا لعيوب نظرياته، محققا لنتائجه، مجريا عليها شتى التجارب، متأنيا، ماسكا لزمام فكره الذي يود لو يسرع، ولم يشرع في نشر آرائه وترويج

[البقية على صفحة - ٨]

نحن والمستقبل

بقلم السيد امين الشريف

(بقية ما بصفحة ٣)

ولقد كانت امثولة التاريخ صادقة مع نفسها حين جعلت التاريخ يعيد نفسه مع كل هذه الشعوب. فنحن نرى انها جميعها قد بلغت شأوا كبيرا في الرقي فحققت رسالتها مدة زاهرة من الزمن، حتى اذا ما انقضى اجلها رايناها تبدأ جميعا بالانحطاط والاضمحلال، فتزول كشعوب حية تحتل الصفحات الاولى من سفر التاريخ.

على ان كل قاعدة لا تخلو من شواذ بل قد يكون الشواذ نفسه دليلا على صحة القاعدة. والعرب هم الشواذ في قاعدتنا التاريخية هذه. فالامة العربية قد حملت مشعل التمدن في زمن لو لم تكن هي فيه لما تيسر للحضارة من يقوم بالمحافظة عليها، فالعالم باسره والحالة هاته في دين لها. لكن الامة العربية، بعد ان اضمحلت سياسيا واجتماعيا الى حد ما، اذا هي تشذ عن القاعدة التاريخية، واذا التاريخ يمنح العرب اليوم فرصة جديدة للنهوض من كبوتهم واكمال رسالتهم. فنحن اذا امام مسؤولية تاريخية علينا ان نقوم باعبائها خير قيام، لان التاريخ لا يرحم قوم سنحت لهم فرصة النهوض ولم يستفيدوا منها

علينا قبل كل شيء، ان نعي اننا نعيش في عالم يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي ازدهر العرب فيه. نحن نعيش اليوم في عصر ثورة فكرية مادية مبنية على العلم الحديث والمفاهيم العملية. هي ثورة يشعر بها قليلنا ويتجادلها بعضنا، ويجهلها اكثرنا. ثورة تصطرع فيها المذاهب السياسية والنزعات التطورية الانسانية من شيوعية ودكتاتورية وديموقراطية ثورة فكرية تهيب بنا ان نعيد النظر في مختلف القيم الحيوية والكيانية التي نحدد بها انفسنا. واول ملتزمات هذه الثورة هي ان نعترف بها دون ان نقبلها على علاتها، ففهمنا لها اجدى وانفع من اغضائنا عنها، لان لها من القوة ما يفوق قدرتنا على الصمود في وجهها . وفي هذا الصدد يقول العالم المعاصر جوليان هكسلي (Julian Huxley) ما مؤداه :

« هذه الثورة هي اولى الثورات العالمية التي اتيح للمعرفة العلمية والتنظيم الواعي ان يلعبا فيها دورا كبيرا . فاذا نحن قبلنا ان نتحمل مشاق فهم هذه الثورة، كان في فهمنا لها امكانية استخدام عنفها لغايات تعميرية لا تدميرية فنستطيع بذلك، وحوادث التاريخ تتري سراعا على صفحاته، ان تكون لنا ميزة كبرى، هي اننا قد قمنا بمساعدة التاريخ».

فامام ثورة كهذه ينبغي للعرب ان يشعروا بالوحدة شعورا عمليا اكثر مما شعروا به في كل وقت. وهذا امر غير مستحيل ، لان الامة العربية لم يفقد افرادها الشعور بالوحدة الروحية حتى في عصر الانحطاط. فترى العرب من اقصى العراق واطراف الجزيرة الى شاطيء المحيط الاطلسي يشعر كل منهم بان ثمة روابط توحد بينهم جميعا وتربطهم معا برباط قديم من الاخوة. فأمة يشعر افرادها بهذه الوحدة حتى في عصر الانحطاط لهي امة تكمن فيها عناصر خيرة وامكانيات كثيرة تستطيع ان تجعل منها امة سيدة .

اما بعد، فهذه هي خلاصة الماضي والحاضر ونقطة البداية للمستقبل. فما هي الخطوات التي يجب علينا ان نتخذها حتى نسير قدما في طريق هدفنا الموحد ؟

هدفنا ينقسم في نظري الى اقسام ثلاث : هدف سياسي جغرافي، وهدف ثقافي اجتماعي، وهدف اقتصادي صناعي . اما السياسة والثقافة والاجتماع فلها جميعا من هم اجدر مني بمعالجتها معالجة فعالة . لذلك ارني سأمر بها مرا سريعا في طريقي الى الغاية الاساسية من الكلام هنا ألا وهي الناحية الاقتصادية وخصوصا الصناعية من مستقبل البلاد العربية .

نحن اليوم نعيش في عالم اضفى عليه التقدم البشري صبغة عملية اهم ما فيها، من الوجهة الاجتماعية، هو التغير الذي اخذ العالم المتمدن ينظر به عمليا الى الانسان . فمنذ ابتدات الثورة الصناعية في اواسط القرن الثامن عشر كان اكثر بني الانسان يعتبر كل منهم وحدة اقتصادية تقاس قيمتها بانتاجها. اما اليوم وان النظرة للانسان اصبحت اكثر انسانية من ذي قبل، فهو اليوم ينظر اليه لا كوحدة اقتصادية انتاجية وانما كوحدة اجتماعية . والنظرة العلمية الحيوية (البيولوجية)، مقرونة مع التجارب البشرية، تدل على ان رخاء الفرد ومستوى معيشته هما الاساسان الاصليان لقياس مدى نجاح النظام الديمقراطي . اذن فنحن نريد للامة العربية نظاما ديمقراطيا لان فيه تتحقق اكثر امكانيات الفرد في خدمة امته.

ولكن رفع مستوى معيشة الفرد وبالتالي زيادة رخائه لا يمكن ان يتما في بلاد فقيرة . فالبلاد الفقيرة هي ابدا عالة على نفسها وعلى العالم. فما دامت بلادنا العربية فقيرة، لا بامكانياتها، بل بحاضرها الاقتصادي ، فلا امل لنا في التقدم والرقي. فالاستقلال الاقتصادي هو حجر الزاوية لكل استقلال سياسي يرجى له الدوام.

ولست احب هنا ان يظن البعض انني مخلوق عملي مادي لا يدرك ما للفكر والتراث الفكري من قيمة. فانا اعلم حق العلم ان ما من امة خلدت في التاريخ دون ان تزيد حجرا في بناء التراث الفكري العالمي . ولكنني اعلم حق العلم ايضا انه ما من امة تستطيع ان تؤدي رسالتها الفكرية على الوجه الاكمل ما دامت امة فقيرة جائعة . وانها لحقيقة علمية راسخة ان العقل البشري لا يستطيع ان يحلق في سماء الفكر ما دام همه متجها الى تأمين مأكله ومشربه

فاذا انا سمحت لنفسي ان اتحدث اليكم حديثا عمليا فما ذلك إلّا لانني ارى الوقت قد حان لان نطرح خيالاتنا واوهامنا السياسية جانبا ونبدأ بالتفكير جديا، وبالتالي عمليا، في امر مستقبلنا. ولست اجد لهذا خير من هذه المناسبة التي يتاح لي فيها ان اتحدث الى شباب عربي لا اشك البتة في نية افراده بان يقوم كل منهم، اذا سنحت له الفرصة ، بخدمة بلاده بتفان واخلاص

البلاد العربية فقيرة اقتصاديا لانها تستورد من الخارج اكثر مما تصدر اليه، ونحن ندفع في الاسواق الاجنبية اكثر مما تدفعه البلاد الاجنبية في اسواقنا. فرصيدنا التجاري اذن رصيد سلبي. وسنجد انفسنا. عاجلا او آجلا، تجاه احد امرين ، فاما ان نزيد صادراتنا او ننقص وارداتنا. لكننا لانستطيع انقاص وارداتنا دون الرجوع الى حياة اقتصادية بسيطة متأخرة فالحل الوحيد اذن هو زيادة الصادرات حتى نتمكن من بلوغ الموازنة الاقتصادية .

ولكن من اين نأتي بهذه الصادرات التي تؤلف الحل الوحيد لمشكلتنا الاقتصادية ؟ والجواب على هذا هو بقيام الصناعات التي تعتمد في موادها الاولية على ثروة البلاد التي تقوم فيها

وثروة البلاد العربية تقسم الى قسمين رئيسيين :

اولا – الثروة الزراعية والحيوانية .

ثانيا – الثورة المعدنية .

اما الثروة الزراعية والحيوانية فهي الان اقرب متناولا من الثروة المعدنية .

واستغلال الثروة الزراعية يتوقف على مدى استهلاك المحاصيل . ففي سوريا مثلا نجد ان المساحة التي تزرع تبلغ نصف المساحة الممكن استغلالها زراعيا اذا ما استعملت الوسائل الفنية الحديثة .

ومن الطبيعي ان استعمال هذه الوسائل الفنية ستتبعها زيادة كبيرة في المحاصيل تفيض عن حاجة البلاد ، وهي زيادة يجب الانتباه لتصريفها . وهنا تلعب الصناعات الزراعية دورها المهم . فالصناعات الزراعية في نظري حجر الزاوية في استقلالنا الاقتصادي . وذلك لاسباب جوهرية ثلاث :

اولا – الصناعات الزراعية تشجع الزراعة واليد العاملة الزراعية ، لانها تحتاج الى المحاصيل كمواد اولية لها . وفي هذا ما فيه من تحسين حالة الفلاح وزيادة رخائه .

ثانيا – ان هذه الصناعات هي نفسها بحاجة الى ايد عاملة للقيام بها. فهي بذلك تساعد على انقاص البطالة.

ثالثا – ان هذه الصناعات تنتج موادا نستطيع ان نصدرها للخارج او ان نستعيض بها عن مواد نستوردها من الخارج. فنكون بذلك قد زدنا صادراتنا وانقصنا وارداتنا دون ان نضطر الى خفض مستوى معيشتنا. وهذا يجعلنا نقترب من تحقيق الاستقرار الاقتصادي الذي يوازن بين الصادرات والواردات .

ولكي لا اترك في اذهانكم شكا سأحاول ان اذكر ، موجزا ، خمسا من هذه الصناعات المهمة

١ – صناعة حفظ الخضر والفاكهة

هذه صناعة تنقذ من التلف كثيرا من الخضروات والفواكه التي لا يمكن بيعها في الاسواق بسبب كثرتها . ومن المستطاع جدا ان تقوم هذه الصناعة على اساس فني صحي فتسد حاجة البلاد لهذه الاصناف التي نستورد كثيرا منها من الخارج .

٢ – صناعة مستخلصات النباتات الطبية

تستطيع تربة البلاد العربية ان تنبت كثيرا من انواع الحشائش والنباتات المستعملة في العقاقير الطبية . ونحن لا نزال الى اليوم نستورد كل مانحتاجه من ادوية من اميركا واوربا . فصناعة كهذه خليقة بان تحفظ قسما من ثروتنا نستعمله ضمن البلاد العربية دون ان نضطر الى دفعه في الخارج .

٣ – صناعة الزيوت النباتية

هذه الصناعة من اهم الصناعات الزراعية ان لم تكن اهمها ، لان منها تتفرع صناعات شتى وتربة البلاد العربية وتنوع مناخها يجعلها صالحة لزراعة كل النباتات الزيتية تقريبا ، ثم ان استخراج الزيوت وتنقيتها عملية صناعية ليست بذات صعوبات كبيرة اذا وجدت لها الخبرة الكافية . والزيوت المستخرجة تجد لها تطبيقات شتى . فهي فضلا عن ان انها تستعمل للتغذية فهي تؤلف المواد الاولية لصناعة السمن النباتي ، ولصناعة الطلاء (او ما ندعوه بالدهان او « البويا ») ولصناعة الجليسرين ، ولصناعة الصابون على انواعه ونحن اليوم نستورد السمن النباتي ، نستورد الطلاء ، ونستورد الجليسرين ، ونستورد الانواع الفاخرة من الصابون . ففي انشاء هذه الصناعات استغناء عن قسم كبير من وارداتنا وحفظ لقسم لا يستهان به من ثروتنا . بل اننا نستطيع ان نصدر الى الخارج كميات وافرة من مختلف الزيوت اذا استطعنا ان نتقن عملية استخراجها وتنقيتها .



[بقية ما بصفحة ٣]

لغة جامعة واضحة قد اخذت من الادب لبه ومن اللغة زبدتها في فصاحة ملائمة وتحرير لا غبار عليه ويكفي نجاح اساويها في جمع الكلمة حتى انها جعلت من الافريقيين المسلمين امة عربية عريقة في عروبتها واسلامها فهي جديرة بان تضاف لسفر الادب الخالد بافريقيا و الاندلس. بل هي النواة الحقيقية في تكوينه وما قيمة الادب اذا لم يكون الشعور العام ويوحد الوجهات الى الهدف الواحد وما معنى اللسان اذا لم يكيف الاتجاهات نحو المثل العليا في الحياة. فالقيروان من هاته الناحية فياضة في هذه الفترة بما قامت به من اعمال عتيدة متفوقة على العواصم الاسلامية الزاهرة في ذلكم العهد يؤمها العراقيون و الاندلسيون للثقافة والتحقيق.

سحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي وابنه محمد. واسد ابن الفرات ويحي بن عمر ومئات من ابطال تلكم الحلبة يدرسون ويؤلفون ويواصلون سواد الليل ببياض النهار في كفاح لا يعرف الفتور وعزيمة لا تعرف الانثناء واخلاص لا يشوبه رياء وتساند لا يخرق له صف وثبات لا تفرع صفاته وايمان قدخالط اللحم والدم وتضحية بات العرب فيما بعد يحلمون بها...وفي رواية المالم عن ابن سحنون محمد الذي لم يجد وقتا يتناول فيه طعامه لانهماكه بين الدفاتر و المحابر والتاليف والتصحيح والمراجعة حتى اضطرت جاريته مدام الى اطعامه على تلكم الحال فلما نال منه الاجهاد وضعفت قواه البشرية صاح بجاريته : اطعميني بعد ان ذهب معظم الليل فقالت له قد اطعمتك... بلاغ ومقنع لقوم يعقلون ويعتبرون.

وقد حقق لنا الشاعر الافريقي والامام العظيم ابو العرب محمد بن احمد بن تميم مؤلف الطبقات انه التقى في هذا الطور بمئات من الاساتذة الافريقيين واخذعنهم بعد ان طاف بالعراق وساح في تلكم المعالم واجتمع بشيوخ الادب العربي وكبار المحدثين وائمة التشريع الاسلامي.

ويتحدث الشمس بن خلكان بما يعضد هذه الحقيقة بعد ان تحدث عن اسد وكتابه قال: وعلى كتاب سحنون (يعني المدونة) يعمل اهل القيروان وحصل له من الاصحاب والتلامذة ما لم يحصل لاحد من اصحاب مالك مثله وعنه انتشر مذهب مالك وعلمه بالمغرب اه وفي ذلك برهان نير على زخارة هذا الطور وعظمة هذا الدور في الناحيتين الثقافية و الانتاجية.

دور القيروان والمهدية

في الطور الثاني من اطوار الادب العربي بافريقيا و الاندلس

بقلم الاستاذ الهادي العامري

وهكذا كانت القيروان همزة وصل بين الثقافة الادبية العربية العالمية بما يغمرها في ذلك العهد من موجات الوافدين من المشرق والمغرب و الاندلس وكانت ترسل باشعتها المتالقة فتنير ارجاء البلاد الافريقية وتقوم للادب سوق نافقة بسوسة وصفاقس وفيما بعد بالمهدية وظلت القيروان نقطة لهذا الاتصال قرونا كانت فيها كعبة للطلاب لا يدعي التبحر في العلوم الاسلامية والفنون الادبية من لم يلتق بائمتها ويستق من ينبوعهم الزاخر تحقيقاته وقد تحدث قاسم ابن اصبغ القرطبي الاديب الكبير والمحدث الشهير الذي رحل الى العراق واجتمع باساطين اللغة كالمبرد وثعلب وابن الجهم وجالس ائمة التشريع الاسلامي كالامام العظيم احمد بن حنبل واضرابه ثم بعد خاتمة المطاف رحل الى القيروان فاخذ عن اساتذتها امثال احمد بن يزيد المعلم والاديب الضليع العالم بكر بن حماد التامرتي بما يدعم ان القيروان كانت مطلع شموس العرفان – قال قاسم : لما رحلت الى المشرق نزلت القيروان فاخذت عن بكر بن حماد حديث مسدد فقرأت عليه يوما فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قدم عليه قوم من مصر مجتابي النمار فقال انما هو مجتابي الثمار فقلت انما هو مجتابي النمار هكذا قراته على كل من لقيته بالاندلس والعراق فقال لي لدخولك العراق تعارضنا وتفخر علينا ؟.. ثم قال لي قم بنا الى ذلك الشيخ-شيخ كان بالمسجد- فان له بمثل هذا علما ... فقمنا اليه وسالناه عن ذلك فقال انما هو مجتابي النمار كما قلت (وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة جيوبهم امامهم) والنمار جمع نمرة فقال بكر بن حماد واخذ بانفه رغم انفي للحق... اه وفي هذا الطور كان يؤلف ويدرس الاستاذ يوسف الازدي المغامي القرطبية الذي الف عشرة اجزاء كاملة في الرد على الشافعي و الانتصار لمالك.

ثم الاستاذ الضليع محمد بن يوسف الوراق القيرواني ادعى ابن حزم انه اندلسي وزعم انه نشأ بالقيروان ولما استفحل العلم بقرطبة واستبحر واحتاج المستنصر الحكم الاموي الى الاخصائيين من العلماء استقدمه من القيروان كما استقدم غيره من سائر العواصم الاسلامية للاستعانة بهم على البحث و الانتاج فرحل الوراق من القيروان في اواسط القرن الرابع والف للمستنصر خزانة من العلوم تتعلق بالاقطار الافريقية. وتواريخها واطواها وآدابها ومسالك ممالكها والعواصم التي اشتهرت بها وخصائصها وميزاتها ونجد بالقيروان في هذا الطور الاديب الخطير الضليع ابراهيم الشيباني وقد وفد من العراق يحمل دواوين الشعراء ورسائل الكتاب وائمة الاداب بعد ان اتقن طريقة الادب الحديث فانتصب بالقيروان مدرسا وناظرا لبيت الحكمة الشهيرة باثارها في عالم الثقافة فكان يدير بيت الحكمة ويرأس ديوان الانشاء ويؤلف التآليف النادرة في القرآن ومشاكله وفي الادب وفنونه وضروبه وكان كاتبا بليغا وشاعرا مرسلا بحيث يصح لنا ان نحكم في اطمئنان بان القيروان في هذا الطور اكتضت بارباب المواهب الخصبة من كل قبيل وتفتحت فيها ازهار العرفان واتحدت فيها الجهود ... كان من آثار هذه الجهود العتيدة المتبادلة والحركة النشيطة المتساندة المتضافرة والهمم الجبارة العنيدة التي لا تعرف في الزمن فترة ولا تستعذب ركودا اثر بعيد المدى عظيم الخطر في نشر هذا الادب ووفرة الانتاج

ثم كان ذلك الصراع العنيف بين الخارجية والسنية والشيعية بقيام دولة العبيديين وتاسيسهم للمهدية ومحاولتهم الانتفاع بالادب العربي في خدمة نحلتهم والوصول الى اهدافهم ويشعر السنيون بالقيروان بالهول فيقفون صارخين وهاتفين بابي زيد الخارجي الثائر لينقذهم مما دهاهم من الشيعيين مستنزلين عطفه بالقصائد الشعرية والخطب والرسائل وفي المعالم شيء من هذا ... فتتصادم التيارات الادبية وياخذ الادب خطة عذراء في التاييد والتشجيع وتطغى النحلة على الادباء المحادين من اي امة فترمي بهم في قعر السجون فاذا هم يتاوهون وقد شملت هاته المحنة ابا العرب وكثيرا من نوعه ويقتنع اكبر اديب افريقي بصحة الفكرة الشيعية وهو ابو حنيفة النعمان القيرواني فيقوم بنصرة النحلة الشيعية قيام محب مخلص مستخدما كل ما منحته العناية من قوة ثقافية معززا ذلك بجهود ابنائه الادباء الكرام الذين استمروا بافريقيا اولا وبالشرق ثانيا كما ياتي الالماع لذلك وبجهودهم الثقافية وموازرة بعثة الادباء الافريقيين حققت افريقيا ما عجزت فارس عنه وهي مهد الدعاية الشيعية ولم تقدر بقية الممالك الشرقية التي كان البعض منها يعد نفسه نما لا لاصل البيت... فيكتب ابو حنيفة القيرواني تاليفه الشهير تحت عنوان (ابتداء الدعوة للعبيديين) ولعل هذا التاليف اكبر وثيقة ادبية افريقية نادرة طمست اثارها الايام ويتحدث المؤرخون عن ابي حنيفة هذا انه كتب الالاف من الاوراق في نصرة الشيعية باحسن تاليف واملح سجع.

ويمكن الاعتقاد بان ابا حنيفة هو اول من سجع في الموضوع واول من استخدم الادب في نظم القواعد الفقهية في قصيده المعروف بالمنتخبة في آداب الشيعة وفقههم وتقاليدهم وارائهم واقتفى الفقهاء فيما بعد اثره في نظم المسائل الفقهية على نحو ما وصل الينا من المتون المعروفة لدى طلاب الزيتونة.

نعم كان لزاما علينا وقد وصلنا الى هاته النقطة في البحث عن الادب الافريقي في طوره الثاني أن نحشر ادب كل شاعر افريقي وكاتب خصوصا وهذا العهد ازخر عهدا بالادب العربي الذي لمسنا آثاره الكثيرة مبعثرة هنا وهناك وان انكرها ابن خلدون واعتبرها بضاعة لا تمت الى الافريقيين بصلة وليس من حقوق الادب الافريقي ان يعدها من منابعه فضلا عن ان يفخر بها...

ولكن يلزم لذلك كتابة المجلدات فلنقتصر على ما لا بد منه في هذا البحث الذي طالت ذيوله وستطول ولنتساءل ونحن على يقين من الجواب هل ان ابناء عبيد الله المهدي مؤسس الدولة العبيدية بافريقيا واحفاده المولودين بالقيروان والمهدية والناشئين فوق الارض الافريقية والمغتذين بثقافتها والمتمتعين بخيراتها ولا يعرفون قبلها بلدا غيرها هم افريقيون بالمعنى الصحيح ام لا؟ الجواب انهم افريقيون قطعا وان هذا المناخ هو الذي كون فيهم ذلك الادب الفياض والنبوغ الخارق حتى كانوا معدودين في الرعيل الاول من ادباء افريقيا في ذلك العهد فلنتحدث قليلا عن ادبهم ثم نقفي ذلك بالحديث عن ادباء عصرهم وميزة ذلك الادب مبتدئين بالمنصور العبيدي المولود بالقيروان في تمام القرن الثالث. كان هذا الامير الافريقي رجل الفصاحة والبلاغة والخطيب المفوه الذي يرتجل الخطب ويقود الجماهير بجيش من البيان ولما انتهت اليه نوبة الملك بافريقيا قام باعمال رهيبة خارقة ماثورة لا حاجة لنا بالبحث فيها وكان خصيب الراي عزيز الاطلاع قوي العارضة. كانت تدور بينه وبين رجال عصره من ارباب التفكير محاورات تعرب عن غزارة ادبه وشدة اضطلاعه : حكى بعض الادباء عنه قال: خرجت مع المنصور بعد هزيمة ابي زيد الخارجي فبينا انا اسائره وبيده رمحان اذ سقط احدهما مرارا فمسحته وناولته اياه وتفاءلت له فانشدته :

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

[البقية على صفحة ١١]

اضغـــاث احـــلام

بقلم الاستاذ الصادق مازيغ

[تابع لما جاء بالاعداد السابقة]

(قال عابر بن لاقط) وكانت اضواء القرية تقترب بلألائها، واشعة المصابيح تتـألق على المقاهي المصطفة يمينا وشمالا وقد اكتظت مقاعدها البسيطة اناسي متهللين يتـآنسون ويتحادثون، ويجذلون ويتضاحكون افواجا من لفيف الفلاحين والباعة والصناع وساقة السيارات والعجلات، فتيانا وكهولا، ومردا وملتحين. وكأنما هم فراش قد تهافت على تلك الاضواء مبتهجا مستبشرا. وكانت الضوضاء هادئة وديعة وان توالت دون انقطاع، والبشر قد عم الملامح البادية عليها آثار الكد والنشاط وسمات العمل المتبارك والحركة المتواصلة.

وكان من شأن ذاك المشهد الميمون ان اخرجني من عالم الى عالم، وبعث في النفس روح الامل بمرأى الحياة المرحة في غير عنف ولا اصطخاب. فكنت اقول: ان هذا الشعب الساذج يغنم الآن هذه الساعة الاولى من ليلة الهادئ ليستريح من تعب النهار. وينعم برواح الليل، ويجد لنفسه جماما وتسلية سهلة بين تلك الانوار المتدفقة والالحان المذاعة من ابواق المصادح المتجاوب نغمها من مقهى الى مقهى، ومن طرف القرية الى طرفها.

وما كدت اخطو بعض الخطو حتى عن صاحب قديم، وصفي حميم، وكان بانتظاري اثر موعد مضروب. وذاك من ادعوه صاحب اليمن، وحافظ الامن والسلام، من اعطي السعادة في الاسم والفعل، وساس الدعائم بالحزم والعدل. فاضحى مستثنى في الحكم، وبات متسما بخير وسم. وكانت بيننا صحبة قويمة وصلات علم واخوة، وعهود صدق ومروءة. وتالله ان امثاله، وان قلوا عددا، وجهلوا موقعا، ليشرفون معشر الانس، بـازدرائهم مـذهب الحـس، واقتفائهم عفة النفس، وانتبـاذهم موقف اللبس. قد ذاد عن حوزته السعـاة، والطرد الوشاة، وشرد البزاة. لامطمع لطامع في اغرائه، ولا منفذ الى معقل وفائه.

(قال الراوي) وكان هذا الخل النـادر، والقلب الطاهر، هو صاحب الشرطة بالقرية، والمؤتمن على الامن فيها. كان ربعه بالسعد مكتنفا، ووجهه بالبشر متهللا. فامسكني في تسياري واخرجني من افكاري، واجلسني الى جانبه على الطريق المتألق ضياء. وقضينا ساعة نتحدث عن احوال الزمان، وطوارق الحدثان، ومهازل بني الانسان. وكنا نستحضر من آن الى آن ذكريات الماضي المشترك، وايام لنا غابرة قد زانها الود المتبـادل، والعطف المتماثل، والتآزر على الخير المحض، والتظافر على النصيحة والبر. وكان من خيرة ابناء ذاك السلك، وصفوة افـراد تلك المهنة. لـم تبطره السطوة الكاذبة، ولا افسدته القسـوة الغاشمة. بل مكث كما عهدته قلبا رحيما، وذهنا متوقدا، وسريرة نقية. همه العمل الصالح، ودأبه الاسعاف والاسعاد، وفخاره الوفاء للبلاد، وشعاره الاخلاص والامانة، وسبيله الكرم والصيانة.

(قال الراوي) وحدث ان سألته عن تلك الانوار الساطعة في القرية، كيف نسقت في الظلمة مهرجانا حافلا من النـور، وكيف امسى الشارع هنا، وان هو إلّا الطريق الجادة تخترق الديار في اعوجاج وانحراف شبه مطرف من لجين وهاج، او وشاح من الماس قد مد في الدياجير، حتى انك لتبصر الانوار من ابعد مسافة، والى ابعد آونـة من الليل. وهل ذلك ـ فيما ارتأيت ـ إلّا تجاوز للحد وخرق للنظام المحكم، وازدراء بالناموس الاعظم. فقد امست الظلمات تغمر ازقتنا في قلب المدن لا سيما احياؤها المأهولة بابناء الشعب، واولاد العرب، ممن وقاهم الله او بالاحرى ديـوان معلوم، شر النور المتدفق الغامر فباتوا في بحر داكن من ديجور ـ ظلمات بعضها فوق بعض ـ

ولست ناقلا هنا جواب الصاحب، ولكنني قائل: ان ذاك النور من صنعـه، فهو الذي يفيضه على السابلة من عابر وقاطن، وذاهب وساكن. وهو دون ريب من اطلق العنان للمقاهي تطوي الليل بالسهر، وتنفي السقم والضجر وتبث اللهـو والسمر، وتذيع الشدو والالحان فيعود ليلها نهارا، ويشع ربعها ازدهارا. وقد بلغ من حسن الطبـع، ودماثه الاخلاق، أن غض الطرف عن الـوقت المضروب لا يصـاد الابواب، وانتهاء الالعاب، فعادت ليالي الصيف هناها فحة أنسا مشرقة انوارا. وكذلك ابعد بصنعه عن الانفس كابوس الوحشة، وشرد جيوش القلق باقراره النـور مكان الظلمة، واطلاقه العنان للتسلية البريئة واللهو الخـالص من كل شائبة.

وكم له الى ذلك في تلك القرية الميمونة من أياد بيض أخر اسجلها بكل ارتياح، واكتبها بمداد الامتنان. من ذلك احتفاؤه بقوت السكان وغضه الطرف عن البر يجلب والحب يعرض في سوقها دون قيد أو تكدير. فاشبع القلوب قبل البطون، وابهج النفوس من طريق العيون. وكنت تبصر الاكداس المحبوبة علانية، دون ستر او حجاب. فترجع لمرآها الآمال، وتذوب المطامع الاشعبية، وتعود الطمأنينة الى الصدور

ولست مطنبا في تعداد هذه المحاسن فقد اصبحت مساوي في هذا العصر الذي دبرت فيه الحياة تدبيرا جديدا، ونسقت تنسيقا مستحدثا وضبطت ضبطا غير معهود لدى النفوس الساذجة والافكار العتيقة التي اكل عليها الدهر وشرب. وهذه التراتيب الفنية، والاوضـاع النظامية، والقوانين والنواميس، والمناشير والتحـارير، والفصول والتقارير ـ كل ذلك قد جرد ابناء الارض من معان بالية، والفاظ جوفاء، وتعاليم خاوية خرقاء. من ذلك ما كان يدعى مروءة وإنسانية، وشهامة وأريحيـة، واضراب من سخافات الصبيان، وأحلام العجائز. قد تضاءلت بـإذن الله وانعدمت واضمحلت ولم تبـق إلّا دواوين ضخمة تعج كخلايا النحل كواتب وكتبة وفنيين ومنسقين، واوراق ودفاتر وأعداد وأرقام، ونصوص تراكمت كالجبال، وصنوف من البنود والتقسيمات، والفصول والفقـرات، والشروح والتعليقات، والذيول والاضافـات، مما اشتبك اشتباكا لا تدركه العقول القاصرة وعاد شبه الغيل المتكاثف النبت الملتف الشجـر المـد لعم الجـوانب لا يطؤه غيـر السبـاع ولا يسلكه سوى الحيات، ولا يألفه غير الهوام

(قال عابر بن لاقط) وكان موكب الظلمـاء يتقدم في البلاد، وجند الليـل يوطد الاقدام في الديار. وفيما نحن نهذي وننتظر الاذان إذ اقبل الشيخ علوان، وكان ذا لحية مهيبة، وبزة نظيفة وعمامة ناصعة وجبة كفلق الصبح. وكان معتدل القامة اسمر اللون لامع الجبهة، مشرق الطلعة، خفيف الظل متين الخلقة. انيق الشكل وكنت قد عرفته منذ ان حللت القرية وحدثت عن قصته العجيبة واطواره الغريبة.. ولم يبلغ بعد الاربعين من عمره وان البسته اللحية وقار الشيوخ. جهوري الصوت يحفظ كتاب الله، ويتسم بسمات التقى والصلاح في السمت والشارة وإن كان فكه المجلس لطيف الحوار.

وكان قد سيق في من سيق الى ميدان الهول والقي هناك في من القي طعمة للقذائف وفريسة للنار والشظايا، ولقمة سائغة في افواه المدافع الداوية. لكنه والحمد لله لم ينل بسوء، ولا أصيب بمكـروه ولا دميت له اصبـع، ولا خدش له ظفر. بل آب في بحبوحة ورغد، موفور اللحية، مفتول الساعد مكتنز اللحم، قـوي العضل، شديد الحنجرة عتيد المعى واللهاة.

وكان في جملة من شهد قسين، ورابط بتلك الجبال الجهنمية والمـآزق الملعونة، والثنـايا المحذورة. وكان يبصر الموت رأي العين ويلمس اشلاء اقرانه تتناثر من حوله، وتتطاير ذات اليمين وذات الشمال. ولكنه ما كان بالوجـل ولا الخائر العزيمة بل اتخذ له سبحة ادارها من حول عنقه، وظل مصطحبا مصحفا علقه من فوق صـدره، وهو طول يومه يهيئم ويقرأ بصوت ينخفض تارة ويرتفع اخرى.

ثم جعل يكتب الرقى والمعاذات، ويحبر الرقاع ويدون الآيات، واتخذ من ذلك تمـائم جعلها طي الثياب، وضمن العمامة، وحشو السراويل، وطي الصدار، وحتى من وراء الشعار وكان الموت يعمل عمله من حوله وهو باسم الثغر قرير العين ناعم البال، ولسان حاله يقول:

تمر بك الابطـال كلمى هزيمة
ووجهك وضـاح وثغرك باسم

فاصبح اعجوبة بين الجند، وظـل نادرة النوادر في الصفوف، وعادت ابنـاء الفيلق تاتيه من كل صوب تستمد من تلك الحروز، وتستجديه الدعوات الصالحات والبركات السنية. وما منهم إلّا متفـائل بتلك الطلعة. متيمن بتلك اللحية منتظر كل الخير من سبحة الشيـخ وعمامته، ملتمس غاية المنى من تلـك العزيمة الصادقة والعقيدة البـاسمة. حتى من خـالف الشيـخ في المعتقد عاد مؤمنا باللحية الوقور، مقدسا للعمامة واسرارها. منوها بالتمائم وآثارها. ومن يومئذ اصبح علوان فقيه القوم وامام الجماعة، وشهد له بذلك الخاص والعام. فكان رقية حية تحمي الحمى، وتميمة غادية رائحة وبركة صـافية خالصة. ومن اجل ذلك حطت عنه اوزار الحرب، وابعد عن المـلاحم الدامية، والمواقع الحامية، وكفى الله المؤمنين القتال. ولم تعد له من خطة سوى الدعاء للاحياء، والصلاة على الهالكين، والتخفيف عن المكلومين. وما انتطح من يومئذ عنزان في بركة أدعيته، ومضاء تمائمه، وصلابة عزائمه، ومفعول رقاه.

كل ذلك وهو حـافظ ناموسه، متقلد سبحته، مرتل ادعيته واذكاره. كـأنما هو ملك ملتح قد انزل من السماء لبث اليمن والبركـة، وتثبيت الاقدام في مواقف الهول ومزالق الذعر، وتلقين الاحياء كلمات الايمان، وتشييع الاموات بالادعية والصلوات. ومرت الحرب باحداثها عليه لم تفل من عزمه ولا غيرت من سلوكه، حتى اذا ما سكن اوارها وخفت لهيبها، الى اجل مسمى، آب الى موطنه محفوفا بالاجلال، وعاد في قومه مضربا للامثال، وتقـاطرت عليه الوفود من كل حدب تسأله عن تلك الايام، وتستمليه خبر الاحداث، وكان شيخنا ذا فطنة نادرة، وخبرة فائقة، وحنكة مصقولة، فاقتصد في القول ولم يسرف في الخبر، وآثر ان يلمح تلميحا خفيفا وان يجمجم ولا يطنب، وان يختصر ولا يسهب. فحامت حوله الاوهام، وتناولت شأنه بالاعظام وتنـاقلت اسراره الافواه وتجادلت في شـأنه

[البقية على صفحة ـ ٩]

تجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية ، ومن الله نستمد العون في جميع الامور » .

ويصل البحث بابن الهيثم الى النظريات العامة فيقول : « تخيلنا اوضاعا عامة للحركات السماوية ، فلو تخيلنا اوضاعا اخرى غيرها ملائمة ايضا لتلك الحركات لما كان عن ذلك التخيل مانع . لانه لم يقم البرهان على انه لم يمكن ان يكون سوى تلك الاوضاع اوضاع اخر ملائمة مناسبة لتلك الحركات . » اليس هذا بنصه الصريح ما اقر منذ عهد قريب من امكانية وجود نظرية حذو نظرية اخرى لتصوير الواقع وتفسير الظواهر الطبيعية ؟ وهذا موقف اشد جرأة واوسع مدى مما يرمي اليه كلود برنار Cl. Berrard حين يقول : « النظريات بمثابة درجات متوالية يصعدها العلم موسعا افقه ، اذ تصور النظريات من الظواهر الطبيعية بقدر ما تزداد تقدما . فالرقي الحقيقي هو ان نعوض النظرية بغيرها ، احدث منها وابعد مرمى من الاولى ، الى ان نصل الى نظرية تشمل عددا من الظواهر اكبر من العدد الاول » او ما يعتمده بوانكري حين يقول : « لا ينبغي ان نصور سير العلم بتغييرات المدينة ، حيث تهدم البناءات القديمة وتبنى على انقاضها الهياكل الجديدة ، بل سير العلم كتطور الاجناس الحيوانية التي تتغير بلا انقطاع فلا يرى عامة الناس الصلة التي تربط بينها ، ولكن العالم المتمرن يجد فيها أثر التغيرات السابقة التي طبعتها فيها القرون الخالية » .

***

كان هذا استعداد ابن الهيثم الفكري . وكان هذا اتجاه عقليته ... ولما بلغ الثالثة والستين من العمر وضع كتابه في المناظر ، وقد نشر باوربا بمدينة بال Bâle السويسرية سنة ١٥٧٢ م ، فكان ثمرة ازمة روحية دامت طول عمره ، وكان الانشاء كما يقول Ribot « حينا من الوقت بشر بانتهاء تهيء داخلي » وجمع ابن الهيثم في كتابه نتيجة تجاربه وما اختص به من النظريات ، فمن ذلك اننا نرى فيه تصويرا حيليا لظاهرة الانعكاس في النور ، فهو يشبه النور بالكرة الملقاة على سطح مستو ، اذ هي ترجع الى الفضاء مكونة مع السطح زاوية مساوية لزاوية السقوط . ونجد في كتاب المناظر اول تسجيل لانكسار النور على طبقات الجو ، وتلكم ظاهرة ذات اهمية كبرى خصوصا في ضبط حركات الكواكب والنجوم ، الى ان يصل ابن الهيثم الى المسألة التي اشتهر بها في الغرب وشغلت عقول الفحول من علماء اوربا كهويقانس Huyghens الهولاندي وغيره ، وهذا نص المسألة : اذا كان سطح عاكس ونقطتان أمام هذا السطح ، ما هي النقطة من السطح التي لو وقع عليها شعاع مار من النقطة الاولى انعكس على طريق الثانية ؟

فحل ابن الهيثم مسالته حلا هندسيا جميلا ولم يكتف بذلك بل عدد الصور بحسب شكل السطح العاكس من سطح مستو ، او كروي او اسطواني او مخروطي .

« ويأتي ابن الهيثم بشرح مسهب مفصل لكيفية صنع الاجهزة بل الاجزاء المختلفة للجهاز الواحد والمواد الخام التي تصنع منها . »

نرى في الخلاصة ان ابن الهيثم كان عالما جليلا من علماء الطبيعة بالمعنى العصري ، فتفكيره كان تفكير العلماء المجربين ، او كما يقول هو « العلماء المعتبرين » وهو أول من لم شعث علم النور ومن لاحظ وجود النور في ذاته وبوب خاصيات النور من انعكاس وانكسار على طبقات الاوساط المشفة المتغايرة ، وهو اول من وقف على وجود الانكسار على طبقات الجو ، وهو واضع المسألة الجليلة التي شاع بها صيته . وكان كتاب المناظر عمدة في كليات اوربا الى عصر النهضة ... ولا أشك في تأثيره على من جاء بعده من علماء النور في اوربا كديكارت وفرما Fermat وهويقانس وغيرهم

***

سنفارق الآن ابن الهيثم وسنستخلص من حياته الفكر الاساسية التي يمكن ان نستنير بها في سيرنا الى العلم ... فنجد قبل كل شيء نزاهة التفكير الهيثمي ، إذ تجرد العالم من نفسه ، وتغلب على أهوائه وآرائه المكتسبة وجعل رائده منار العلم الحر الذي لايقيده قيد ... ونجد ايضا الجهود التي بذلها ابن الهيثم في سبيل العلم ، فهو قصر مجهوداته كلها عليه ، وضحى بعمره كله ، راجيا الاقتراب من الحقيقة وما العبقرية إلا كما قال اديسن Edison : « عشرفي المائة من الالهام والوحي وتسعون في المائة من عرق الجبين » وسئل بعض العلماء الغربيين : « كيف وصلت الى اكتشافك هكذا ؟ فأجاب : « بالتفكير فيه في كل آونة ووقت . »

ولئن نجد عباقرة ضحوا بعمرهم في سبيل العلم وجمعوا مواهبهم العقلية كلها وأجهدوا النفس في استخدامها لكشف الغطاء عن بعض أسرار الطبيعة ، فذاكم مما يوضح لنا ، أحسن من كل دليل آخر ، قيمة ما نحن نسعى دوما للاقتراب منه والاستطلاع اليه : نور العرفان واشراق الحقيقة .

***

... اوقفنا ابن الهيثم وقف العيان على اثرنا العلمي في سابق التاريخ ، وشاهدنا كيف كان اجدادنا العرب اساتذة الغرب فربي الغرب من لبان العلوم الاسلامية وترعرع وقوي واشتد ... ثم كان عصر الانحطاط في الشرق ... وما حياة الدنيا الا دول بين الامم ... فاحتقر الغرب معلميه بالامس ، وجازاهم جزاء سنمار ، ولعمركم لقد كان عليه ان يكون بارا وان يشكر النعمة ويعترف بالجميل ...

لكن بعضهم وهو الفرنسي اندري سرفيه ، اعترف بالجميل حسب ذوقه واستعداده الطبيعي ، اذ يقول في كتابه « الاسلام ونفسية المسلم » : « ان المدنية الاسلامية اقل من ان يعتني بدراستها إذ هي تقليد مشوه لمدنيتي اليونان والرومان . سقط العرب على مادتها في الكتب السريانية فاقتبسوها دون أن يعرضوا لها بما يستحق الذكر من النقد ، لأن العربي قد اثبت ان لا طاقة له على الاستقصاء البحث بصورة جدية ولا قدرة له البتة على ابداع شيء من عنده ولم يتقن العرب من العلوم إلا التي لا تحتاج الى عناء التفكير او مشقة في البحث وكانت سبيلها ميسورة كالتاريخ والجغرافيا وما اليها . »

هذا ما يقولون ، والآن الامر امرك ، ايها الشباب . فبماذا سترد على منتقديك ؟ اني اعلم انك محبذ فكرة الاصلاح في تعليمك ، وانك راغب فيه ، إلا اني انذرك ان ذلك يتطلب منك جهودا جبارة ، لتنفيذ القول بالفعل ، وقد يستدعي العمل منك سهر الليالي الطوال ، فهل انت مستعد للعمل الجدي ، ام تكفيك ترنيمة الخطب ؟

ايها الشباب ، ان العلم خرج من دياركم ، افتعرض نفسك لان يقال لك . نعم خرج ولكن لم يرجع !؟ اما أنا فأعيد لك قول الرصافي :

وخير الناس ذو حسب قديم
أقام لنفسه حسبا جديدا
تراه اذا ادعى في الناس فخرا
تقيم له مكارمه الشهودا
فدعني والفخار بمجد قوم
مضى الزمن القديم بهم حميدا
قد ابتسمت وجوه الدهر بيضا
لهم ، ورأيتنا فعبسن سودا
وقد عهدوا لنا بتراث ملك
أضعنا في رعايته العهودا
وعاشوا سادة في كل ارض
وعشنا في مواطننا عبيدا
إذا ما الجهل خيم في بلاد
رأيت أسودها مسخت قرودا

محمد السويسي

بعض الغلطات المطبعية بالصحيفة السابقة

ع ١ سطر ٨ هم صوابه علم
سطر ٣١ قد صوابه قل
ع ٤ سطر ١٦ مختلفة صوابه مختلقة
سطر ٣٥ قواعد صوابه قوامه



أضغاث احلام

[بقية ما بصفحة ٦]

المجالس ، فمن مزدهر منتقص ومن مقدس مجل . وكان الشيخ قد اجاد التلاوة وحفظ ما شاء الله في ايام الهول من الذكر المحكم والاوراد الضافية . فلم يعد يهرب من دعوته في المآتم والافراح وفي كل موطن يستدعي حنجرة شديدة المراس وذاكرة وافرة العدد . وبانت للعيان مواهبه الفذة وبذ الاقران . وكذلك يتخذ لنفسه مهنة ميسورة او تتخذه هي لنفسها بعد ان الفها والفته في مواقف الهول ومسارح الدمار . وصعب على الانسان ان يفارق ما اعتاده في مثل تلك الحال . وشيخنا والحمد لله لم يدن هنالك المسكر ولا اتى فاحشة مبينة ، ولكنه اطلق اللسان بذكر الله ، وعمر الصدر بالآي والاذكار ، وكل يعمل على شاكلته ، وكل اناء يرشح بما فيه .

وعاد الشيخ يمتهن مهنته في القرية وما حولها بكامل الطمأنينة والدعة . لا خوف عليه من شظية تجتاحه ، او صاروخ يلتهمه ، او قذيفة تجعله هباء منثورا . وامسى يتحف بالاطايب ، وتعرم امامه اللحوم ، وتقدم له الجفان الغر ، والخرفان الطرية ، والاسماك الشهية . لا يكاد يخلو منه مأتم او عرس ، ولا تقام مأدبة دونه ، او تنظم دعوة بلا استدعائه في الرعيل الاول . بل اصبح هوالداعي الاكبر ، والمهيمن دون غيره على السماط ، والمستشار الاعظم في تقديم الصحون وتنسيق الالوان . وكان بطبيعة الحال هو الخائض تلك المعمعة بكامل الجسارة والمراس وكان هو الاسوة الحسنة في الفك والادغام ، والمثل الاعلى في القضم والخضم .

(قال الراوي)

وكان الشيخ قد اقبل في سمت حسن وسلم باحسن تحية ثم قال : ايها المولى الاكرم ان لي معك حديثا خاصا ، وامرا هاما فلا تبرح مكانك فاني راجع في طرف عين او لمح برق . ثم ابتعد مسرعا ، وانصرف مهرولا . فعجبت كل العجب من امره وبقيت في حيرة استكشف السر واتشوف الى حل المشكل ــ وعندئذ نهض صاحبي الاسعد وقال : ان الشيخ علوان اتاك دون ريب مستدعيا الى وليمة عند بعض القوم وذاك هو السر المكتوم وانت اعلم الناس بشيخنا واتصاله بالولائم والدعوات والمطاعم والبركات . وانا الان مودعك بين يديه ، والى الملتقى في ساعة مباركة .

وما كاد صاحبي ينصرف حتى اقبل علوان مشرق المحيا ، باسم الثغر ، متزن الاشارة ، فتبوأ مقعدا ، وامر على الفور لي بقهوة ما وسعني إلا رشفها ثم قال بكامل اللطف :

ايها الضيف الاكرم والزائر النبيل ان الصديق خير الله يدعوك الى وليمة يقيمها الليلة احتفاء بختم بعض أولاده القرآن واحرازه على الشهادة في الامتحان . وقد دعا علية القوم واماثل المكان فكن انت واسطة العقد وليكتمل بك الانس ويلتئم الشمل ويزدان . (يتبع)

الحسن بن الهيثم

بقلم الاستاذ محمد السويسي

[بقية ما بصفحة ٥]

كتبه الخاصة به إلا سنة ٤١٧هـ اي يوم كان عمره ثلاثا وستين سنة. على انه كتب بعض ملاحظاته على شبه التذكرة فمن ذلك مقالته في علم المناظر التي سبقت كتابه البحر في هذا العلم فهو يقول في مقدمة كتابه: « فمن وقع اليه المقالة التي ذكرناها فليعلم انها مستغنى عنها بحصول المعاني التي فيها في مضمون هذا الكتاب».

***

قلنا اشتهر هم ابن الهيثم، وبلغت شهرته مصر، وكان صاحب السلطان فيها الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكان ميالا للعلم واهله، وهو منشيء دار الحكمة بمصر، وهو منشيء المرصد الواقع بالمقطم وكان عليه ابن يونس المنجم المصري.

وذكر القفطي انه بلغ الحاكم الفاطمي قول ابن الهيثم: « لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، فقد بلغني انه ينحدر من موضع عال، وهو في طرف الاقليم المصري ».

فنرى ان ابن الهيثم سبق العصر الحاضر في نية تنظيم مجرى الانهار بواسطة السدود وغيرها، ولم تنفذ فكرته فيما يخص النيل إلّا بعده بثمانية قرون...

وعلى كل استدعى الحاكم بامر الله ابن الهيثم ورغبه في مصر، فحضر مصر واكرمه صاحبها وامر باكرام مثواه، ثم سار ابن الهيثم في قافلة علمية استطلاعية ومعه جماعة من مهرة البنائين في ذلك العصر، وساير النيل مستطلعا امره حاسبا وضابطا لأقياسه حتى وصل أسوان وتجاوزها الى موقع يسميه القفطي بالجنادل وعاين المكان واعمل الفكرة، ولكنه لم يجد الواقع مطابقا لما كان فكر فيه، بل قد لم يكن بين يديه من المواد ما تم لغيره يوم ترقت الصنائع رقيها العظيم في القرن الماضي.

فرجع ابن الهيثم خائبا الى مصر، واعتذر الى الحاكم، فتظاهر بقبول عذره، غير انه اسر له في نفسه شيئا... فعرض عليه منصبا من مناصب الحكومة، وقبل ابن الهيثم مكرها، خائفا من غضب الحاكم، وما كان ليؤثر الوظيف على الانقطاع للعلم. ثم فكر عدة مرار في التخلي عن المنصب وفي الفرار من الحاكم، واعمل الحيلة وتظاهر بالجنون فحبسه الحاكم، وضيق عليه، وكانت تلكم حالة ابن الهيثم الى ان توفي الحاكم، فخرج الحسن من محبسه، واشتغل بالعلم من جديد واقام بالقاهرة الى ان توفي في حدود سنة ثلاثين واربعمائة هـ (١٠٣٨ م)

***

هذه صورة موجزة من حياة ابن الهيثم، ونحن سنستعرض فيما يلي بعض آثاره في علم المناظر فنقول: اثار ابن الهيثم في علم النور نوعان: الاول ما طبعه بطابعه الخاص من المعلومات القديمة واقره على صورته النهائية الواضحة التي يتجلى بها حتى اليوم في كتب النور، والثاني ما لم يسبقه اليه احد، فهو واضعه ومنشؤه، واقر بذلك سائر العلماء في الشرق والغرب ومن النوع الاول انه فض الخلاف العظيم الذي فرق طويلا بين الفلاسفة وعلماء المناظر في كيفية الابصار هل هو بخروج شعاع من البصر الى المبصر ام هو بورود شبح المبصر الى البصر.

« فهذا اقليدس وبطليموس وأصحاب التعاليم جميعا كانوا متفقين في ان الابصار هو بخروج شعاع من البصر الى المبصر، كأن العين يمتد منها شيء حتى يلمس المبصر، ومتى يلمس هذا الشيء الممتد من العين المبصر وقع الاحساس ـ فهذا الشعاع الخارج من البصر هو في زعمهم نظير ما يسميه علماء الاحياء في الحشرات « قرون الاستشعار ». ولقد كان ديكارت. بعد ابن الهيثم بقرون يشبه الانسان وهو يبصر المبصرات بعينيه الاثنتين بالكفيف الذي يتحسس المحسوسات من حوله بعصوين يمسكهما في يديه. »

فجاء ابن الهيثم ووجد الخلاف متفاقما، فطورا يفوز شق الفلاسفة وطورا تطغو فكرة أصحاب التعاليم، فاتخذ ابن الهيثم لنفسه الموقف العلمي الحقيقي إزاء هذه الاراء المتضاربة: فهو يقول: « ولما كان ذلك كذلك. وكانت حقيقة هذا المعنى مع اطراد الخلاف بين اهل النظر المتحققين بالبحث عنه على طول الدهر ملتبسة، وكيفية الابصار غير متيقنة، رأينا ان نصرف الاهتمام الى هذا المعنى بغاية الامكان؛ ونخلص العناية به ونتأمله، ونوقع الجد في البحث عن حقيقته. ونستأنف النظر في مباديه ومقدماته ».

فحدد هكذا ابن الهيثم لنفسه طريقة البحث وعزم على النظر في المحسوسات غير معتمد على قول من الاقوال، فمرت بفكره الاسئلة مزدحمة، ونحن ننقلها لكم عن محاضرة القاها الاستاذ مصطفى نظيف بك، استاذ الطبيعة في كلية الهندسة بمصر في افريل سنة ١٩٣٩، بمناسبة ذكرى مرور تسعة قرون على وفاة ابن الهيثم، فكانت هذه الاسئلة التي تعرض ابن الهيثم الى حلها: « هل الاضواء جميعا سواء منها المشرق من الاجسام المضيئة بذاتها او المشرق من الاجسام المستضيئة بغيرها، تمتد في الجسم المشف الواحد على السموات المستقيمة؟ وان كان الامر كذلك، فهل من سبيل الى القول بان الابصار يكون بورود الضوء المشرق من المبصر الى البصر؟ وان قيل هذا، فان الضوء الوارد من المبصر الى البصر يرد من كل نقطة من المبصر الى جميع سطح البصر، فكيف يتسنى للبصر ان يدرك المبصر باجزائه المختلفة والوانه ونقوشه وتخطيطاته، كما هو عليه في الواقع دون ان يختلط كل ذلك بعضه ببعض؟ وكيف يتسنى ادراك المبصرات المختلفة معا دون ان تختلط صورها او تشتبه؟ واذا كان الاحساس يحدث في داخل البصر بورود الضوء من المبصر، فكيف يدرك البصر المبصر في مكانه خارج البصر؟ بل كيف يتسنى ان يدرك بعده وعظمه وشكله وتجسمه وما الى ذلك؟ وكيف يتسنى ان يدرك المبصر واحدا بالنظر اليه بالعينين الاثنتين؟

وايضا هل الاضواء جميعا تنعكس على صفة واحدة؟ وان كان الامر كذلك فما هي هذه الصفة العامة التي تنعكس عليها الاضواء جميعا؟ واين موضع الخيال الذي يرى وما هي صفاته؟ »

هذه الاسئلة العديدة التي تواردت على فكر ابن الهيثم فحلها وكانت حلوله قيمة وألهم في غالب الاحيان الى الحقيقة. فنحن نرى ابن الهيثم يعيد البحث في علم النور من جديد، بادءا من البداية، كأن لم يسبقه أحد اليه، وهو يتتبع بنفسه الواقع، ويربط الصلة بين مظاهره، وينسق النتائج تنسيقا منظما، وعند ذاك نشأ علم النور.

نعم ان اقليدس قد بحث قبله في مظاهر الانعكاس وتناول بطليموس درس الانكسار، ونظر ارشميدس في المرايا المحرقة... إلّا ان معلوماتهم كانت مبعثرة، مشتتة، لا تضمها الوحدة التي منها يتكون العلم. فجاء ابن الهيثم واقر وجود النور في ذاته، وهذه من الاوليات البديهية التي يدور حولها درس المناظر، ولم يكن مسلما بصحتها قبل ابن الهيثم.

ثم درس ابن الهيثم المظاهر العديدة الراجعة الى النور، ولم الشعث وجمع الشتات وقارن بين سائر المظاهر التى كان يمر بها الرائي ولايشاهد بينها من صلة، وتدرج بذلك نحو القوانين العامة.. وهذه هي الطريقة المثلى للعلوم التجريبية

يقول ابن الهيثم: « ونبتدي في البحث باستقراء الموجودات وتصفح احوال المبصرات وتمييز خواص الجزئيات ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حال الابصار وما هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ونجعل غرضنا في جمع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى في سائر ما نميزه ونتقده طلب الحق لا الميل مع الاراء »

هذا موقف ابن الهيثم من المشاهدات وهذه طريقته في البحث العلمي. ومن المفيد مقارنة هذه الاراء بما وصل اليه أعظم العلماء من اوروبا في عصرنا هذا. يقول هربرت: « اننا لسنا نرغب في تسجيل الظواهر الواقعية تسجيلا مجردا. بل ننشد المعرفة الناشئة عن التفكير ونبغي ضبط القوانين التى تربط بين الظواهر الواقعية »

ويقول بوانكري: « ان الامر الواقعي المنعزل عن غيره تشاهده جميع الاعين، عيون العامة وعيون العلماء، ولكن العالم الطبيعي وحده هو الذي يقدر على ان يشاهد التماثل الخفي الذي يجمع بين امور شتى، لا علاقة بينها في الظاهر وقصة تفاحة نيوطن بدون شك مختلقة، ولكنها رمز حسن، فلنتكلم عن هذه القصة كأنها واقعية...

نحن نظن ان كثيرا من الناس قبل نيوطن شاهدوا سقوط التفاح على الارض فلم يستنتج احد من ذلك شيئا... فالواقع حينئذ متصف بالعقم لولا وجود عقول قادرة على الاختيار بين ظواهره وتمييز ما يختفي من ورائه بعض الشيء وتعرف ما يختفي وراءه، عقول تشعر من وراء الواقع المجرد بالروح التي يحيا بها الواقع. »

ولا يكتفي ابن الهيثم بالمشاهدة، بل نراه يجري التجارب المتعددة في المسألة الواحدة، مجددا ظروفها، واضعا لظروف لم تكن موجودة حتى تكون نتائجه عامة مضبوطة، وسنرجع الى ذكر ذلك عند بسط المسألة الجليلة التي كان هو واضعها والتي اشتهر بها في الغرب...

وما هذا الاتجاه الفكري إلّا ما يرمي اليه كلود برنار Cl. Bernard عندما يعرف علم المشاهدة وعلم التجربة فيقول: «علم المشاهدة هو علم مكون من المشاهدات اي علم تدرس فيه المشاهدات الطبيعية وعلم التجربة هو علم قواعد التجربة اي علم تدرس فيه الظواهر الناشئة عن التجارب في ظروف قررها المجرب نفسه واستنبطها هو ذاته » ويزيد كلود برنار توضيحا قائلا: « التجربة هي مشاهدة مستحدثة » ويستدعي علم التجربة شجاعة علمية وقوة ايمان بالعلم تجعل العالم لايثق بآرائه بل لا يثق إلّا بالعلم نفسه. يقول كلود برنار « لا ينبغي للمجرب ان يعتبر فكرته اكثر من انها وسيلة لاستجابة الطبيعة؛ فعليه ان يخضع فكرته للطبيعة وان يستعد لنبذها او تغييرها او الاستعاضة عنها بغيرها، حسبما تمليه عليه المشاهدات التي استحدثها. »

ويقول ابن الهيثم: « ونتحرى في سائر ما نميزه ونتقده طلب الحق لا الميل مع الاراء. » ويزيد ابن الهيثم متصفا بتواضع العالم الحقيقي: « ولعلنا ننتهي بهذا الطريق الى الحق الذي به يثلج الصدر » او: « وما نحن مع جميع ذلك برآء مما هو في طبيعة الانسان من كدر البشرية ولكننا



القصة في الادب العربي القـــديم

كتـــاب الف ليلة وليـــلة

بقلم الاستاذ ا . ع . بكير

[تابع لما جاء بالاعداد السابقة]

قلنا في الفصل السابق ان المغزى الفلسفي في كتاب الف ليلة وليلة لا يبدو في هيكل منظم متناسق العناصر متماسك الاركان يحتوي على مقدمات وشروح واستنتاجات بل هي فلسفة عملية يمثلها اشخاص على مسرح الحياة فتنتعش وتصطبغ بصبغة الواقع وتؤثر في العقول تاثيرا بليغا اذ تؤيدها امثلة حية .

فلذا رصعت شهرزاد حكاياتها بوصف الاشخاص واعتنت بتصويرهم تصويرا جيدا . فهي تصفهم وصفا وجيزا سريعا إلّا انه بليغ حي يمكنك من تخيلهم تخيلا دقيقا ويوهمك انك تشاهدهم فترى ما يفعلون وتسمع ما يقولون .

ولقد وصفت منهم شهرزاد انواعا مختلفة انتقتهم من جميع طبقات المجتمع . فاعتنت بتصوير الملوك ورعاياهم والاغنياء والفقراء والعظماء والوضعاء والأسخياء والبخلاء والاخيار والاشرار . فقصة « ابي صير وابي قير » تصف شخصين متناقضين : اولهما من الاخيار يمثل الكرامة والاستقامة والصدق والاخلاص والحلم ؛ والثاني من الاشرار يمثل الدناءة والخبث والخيانة والغدر والاثرة .

وتسلك شهرزاد نفس هذه الطريقة في حكاية « معروف الاسكافي » . فمعروف هذا رجل مشهور بسخائه يعطي الفقراء كل ما يملك واذا نفد ما عنده اقترض مالا يتبرع به على من يستعطيه . ولكنه ضعيف النفس فاتر الطبع عديم الحماس . واما زوجته فاطمة فانها شريرة مفرطة في حب ذاتها تعبث بزوجها وتسيء اليه بلا رافة اذا ما عجز عن ارضاء اهوائها .

وكثيرا ما تركن شهرزاد الى التصوير الواقعي فتصف الاشخاص والاشياء على ما هي عليه من بشاعة وفظاعة دون ان تتحاشى عما يقتضيه المعنى من العبارات الغليظة التي تقع على السمع والنفس وقعا شديدا . فمن ذلك ما جاء في حكاية « الحمال مع البنات » من وصف عجوز « وجهها مسعوط وحاجبها ممعوط وعيونها مفجرة واسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر :

عجوز النحس ابليس يراها
تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة الف بغل
اذا نفروا بخيط العنكبوت »

وليس الوصف في كتاب « الف ليلة وليلة » مقصورا على الاشخاص بل يتناول ايضا بيئتهم وما حولهم من مشاهد . فكثيرا ما يمسك صاحب القصة عن سرد الحوادث ويصف مدينة او قصرا او بستانا او معركة او حلة او حليا . فيجيء وصفه حيا دقيقا بديعا دالا دلالة بليغة على ان الواصف حسن المشاهدة شاعر بفنه شعورا كاملا . فهو يتقن تصوير ما في قصر هرون الرشيد من حياة وعادات كنهوض الخليفة من نومه وجلوسه في ديوانه للمظالم والنظر في امور الرعية وسهراته الحافلة بالقيان والراقصات وذهابه الى الصيد مع حاشيته وخروجه ليلا متنكرا في زي تاجر او مسافر لتفقد احوال الناس والاطلاع على حياتهم عن كثب . وكذلك الاسواق فانه يجيد وصفها بما فيها من هرج وغوغاء وازدحام وتجار وباعة كأنك تسمعهم وتراهم يرغبون الواردين عليهم في بضائعهم .

وكثيرا ما ينزع القصاص الى ابهار مخيلة المستمعين بذكر الغرائب والعجائب والاطناب في وصفها . فمن ذلك ما جاء في حكاية « حاسب كريم الدين » من ان الشاب « بلوقيا » دهن قدميه من ماء معه ونزل في البحر وسار على سطحه ليالي واياما حتى أقبل على جزيرة فتمشى فيها ساعة فرأى جبلين عليهما اشجار كثيرة واثمارها كرؤوس الآدميين وهي معلقة من شعورها . ورأى فيها اشجارا اخرى أثمارها طيور خضر معلقة من ارجلها ورأى بها فواكه تبكي وفواكه تضحك .

ولما اظلم الظلام طلع فوق شجرة فبينما هو كذلك اذا بالبحر هاج وطلع منه بنات البحر وفي يد كل واحدة منهن جوهرة تضيء مثل المصباح وسرن حتى اتين تحت تلك الشجرة وجلسن ولعبن ورقصن الليلة كلها . فلما اصبحن نزلن الى البحر . . . !

ويمعن صاحب الحكاية في اثارة العجب والاعجاب في نفوس مستمعيه فيسلك طريقة تضخيم الاعداد تضخيما يتجاوز حدود الواقع والامكان . وليس ادل على ذلك من مثال « بلوقيا » ايضا . فبعد ان يهيم على وجهه اياما يؤديه تجواله الى ملك من ملوك الجن فيرحب به ويكرمه ثم يامر الفراشين ان ياتوا بسماط فياتون به ويمدونه . ثم ياتون بصواني من الذهب الاحمر وصواني من الفضة وصواني من النحاس وعددها الف وخمسمائة صينية . وفي كل واحدة منها خمسون خروفا أو عشرون جملا أو خمسون راسا من الغنم . . . !

ولكن القصاص لا يقف عند هذا الحد بل يسرف في الاغراب ارضاء لما في نفوس بسطاء القراء والمستمعين من شغف متزايد بالحوادث العجيبة والمناظر النادرة والاشخاص الشاذة فيذهب به ذلك الى الوقوع في المبالغات السخيفة وايراد المستحيلات الفظيعة مما ينافي التجربة والعقل . فقد ذكرت حكاية « الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان » شيخا سجن اربعين يوما في دير وتركه اعداؤه بغير طعام ولا شراب . فلما دخلوا الدير بعد انقضاء تلك المدة قال احدهم : اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما ياكله الطير ! ـ ففتحوا باب الحجرة المظلمة التي كان بها ذلك الشيخ فوجدوه حيا ..!

ومن ذلك ايضا ما حكاه السندباد البحري في قصة سفرته الاولى من انه وصل ورفقاؤه الى جزيرة كانها روضة من رياض الجنة .

فارسى بهم صاحب المركب على تلك الجزيرة فنزل اليها كل من كان في المركب وعملوا لهم كوانين واوقدوا فيها النار واختلفت اشغالهم : فمنهم من صار يطبخ ومنهم من صار يغسل ومنهم من صار يتفرج . وكان السندباد من جملة المتفرجين في جوانب الجزيرة . وقد اجتمعت الركاب على أكل وشرب ولهو ولعب . فبينما هم على تلك الحالة اذ بصاحب المركب يصيح باعلى صوته : « يا ركاب السلامة ! اسرعوا واطلعوا الى المركب واتركوا اسبابكم واهربوا بارواحكم وفوزوا بانفسكم من الهلاك ! فان هذه الجزيرة التي انتم عليها ما هي جزيرة وانما هي سمكة كبيرة رسبت في وسط البحر فبنى عليها الرمل فصارت مثل الجزيرة وقد نبتت عليها الاشجار من قديم الزمان . فلما اوقدتم عليها النار أحست بالحرارة فتحركت وفي هذا الوقت تنزل بكم في البحر فتغرقون جميعا . فاطلبوا النجاة لانفسكم قبل الهلاك ! » فلما سمع الركاب هذا الكلام بادروا بالطلوع الى المركب وتركوا اسبابهم . فمنهم من لحق المركب ومنهم من لم يلحقها . وقد تحركت تلك الجزيرة ونزلت الى قرار البحر بجميع ما كان عليها وانطبق عليها البحر . . . !

وجاء في حكاية السفرة الخامسة من سفرات السندباد ايضا انه وصل يوما مع اصحابه الى جزيرة خالية من السكان وهي خراب وفيها قبة عظيمة بيضاء . فطلعوا يتفرجون عليها واذا هي بيضة رخ كبيرة . ولم يعلم جماعة منهم انها بيضة رخ . فضربوها بالحجارة فكسرت ونزل منها ماء كثير وقد بان منها فرخ الرخ فسحبوه منها وذبحوه واخذوا منه لحما كثيرا . . . !

واما حكاية « علي نور الدين وانيس الجليس » فانها تصور الخليفة هرون الرشيد في موقف مضحك مشين لا يليق بكرامة امير من عظماء امراء المسلمين . وهو ان الخليفة اتفق له ليلة من الليالي اثناء جولة مع جعفر ان سمع جارية تغني وتوقع على عود . وكانت تدعى انيس الجليس . وكان الى جانبها شاب يقال له علي نور الدين . ففتن بصوتها وتوقيعها وقال لجعفر : « اريد ان أطلع وأجلس عندهما واسمع الصبية تغني امامي . » ثم ان الخليفة وجعفر ذهبا الى ناحية دجلة وهما يفكران في حيلة تمكن الرشيد من ذلك بدون ان يظهر امره واذا بصياد واقف يصطاد . فقال له الخليفة : اقلع ثيابك ـ فقلعها وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذي له اذناب ومن البراغيث ما يكاد ان يسير بها على وجه الارض . وقلع عمامته من فوق رأسه ولم يكن حلها منذ ثلاثة اعوام . فخلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وامر الصياد بلبسهما . ثم لبس الرشيد جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ودخل على نور الدين والجارية قائلا انه اتاهما بشيء من السمك المليح . فأمراه بقليه . فقال : « على الراس والعين اقليه واجيء به .

فذهب الى المطبخ وقلاه ثم اتاهما به . فلما فرغا من اكله رمى نور الدين الى الخليفة ثلاثة دنانير . فاخذها وقبلها ثم قال : احسنت وتفضلت ولكن مرادي ان هذه الجارية تغني لنا صوتا حتى اسمعها . فامرها نور الدين بالغناء فغنت ووقعت على عودها ... ! ولا شك في ان هرون الرشيد اجل من ان يسلك مثل ذلك السلوك

إلّا ان مادة كتاب « الف ليلة وليلة » تبقى رغم هذا العيب ممتعة طريفة لان القصاص وفق الى تنويعها وتغذيتها بمختلف العناصر وبعث فيها الحياة وابرزها في ابهى الالوان .

(يتبع) ا . ع . بكير .

قرية تونس

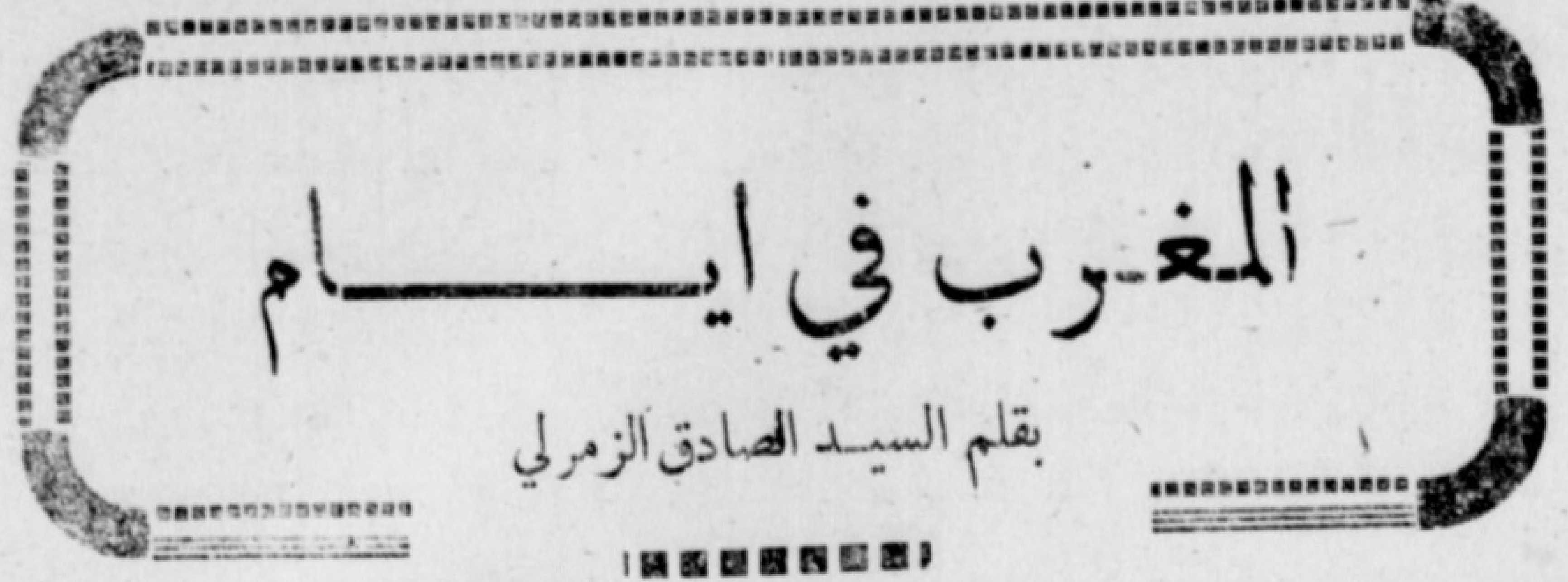
هل تعلم ان مدينة تـونس عاصمة بلادنـا متوغلة في ماضي البلاد وانها نشأت في اول العهد الذي خرجت فيه افريقيـة من ظلمات ما قبـل التاريخ وانها مع ذلك بقيت خـاملة حقيـرة طيلة قرون ولم يصبح لها شأن يذكر إلّا بعـد الفتوحات الاسلامية وخاصة بعدتدهور القيروان في حدود القرنين الحـادي عشر والثـاني عشر من الميلاد ؟

فنحن نجد في التاريخ ذكرا لقريـة تونس (Tunès) بن عهد القرطاجنيين . ولكنا لا نكاد نعلم عن شأنها شيئا موثوقا به . وانمـا يفترض علماء التاريخ انها كانت قرية سكانها من اهـل البلاد الاصليين تحيا حياة لا تـكاد تذكر الى جانب مدينة قرطاجنة العامرة باهل التجارة والملاحة من النازحين الفنيقيين . والمظنـون ان مدينـة قرطاجنة كانت تستمد من بين اهل هذه القريـة الصغيرة ما كانت في حـاجة اليه من العملـة المستأجرين .

لكن قرية تونس (Tunès) كان لها موقع جغرافي لا يخلو من فوائد حربية . فهي واقعة في مجاز ارضي ضيق بين بحيرة تونس من ناحية والسبخة المسماة بسبخة « السجـومي » من ناحية اخرى . وسرعان ما فطن القرطـاجنيون الى ذلك فاتخذوا من هذه القريـة مركزا دفاعيا وحصنوها بالاسوار وجعلوهـا كالدرع يحمي مدينتهم من جهة داخل البلاد .

هذا ما يثبته التاريخ من شأن تلك القرية في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح . وقد جاء ان قرية تونس كانت هدف ضربـات الثـوار الليبيين في ذلك العهد وكانت بعد ذلك هدف حمـلات « اغـاتوكل » والقـائد الرومـاني « ريغولوس » عند مهاجمتهما لقرطاجنة .

ولكن التاريخ لم يلبث بعد هـذه الحوادث التي سجلت اسم تونس في سجل المـاضي ان اسدل حجبه على القرية الصغيرة فبقيت كذلك خاملة الذكر مجهولة الاسم طول قرون عديـدة ولم يستأنف لها التاريخ شأنا إلّا في مبتدأ العصر الاسلامي . اذ قد ورد ان حسان بن النعمان أنشأ فيها « دار صناعة » بعد تهديمه لقرطاجنة. على انها لم تنفك تزداد شأنا يوما فيومـا مـن ذلك العهد الى ان تبوأت منزلتها التي لا تزال لها الى اليوم واصبحت قاعدة البلاد . وقد حصل لها ذلك لاول مرة في التاريخ بعـد ان قلبت غزوة الهلاليين افريقية رأسا على عقب اذ استقل بها واتخذها عاصمة بنو خراسـان وهم امراء دويلة صغيرة نشأت اثناء اضطراب الاحـوال في ذلك العهد (اي في الشطر الثاني من القرن الحادي عشر للمسيح)



(بقية ما بصفحة ٣)

قسم الدراسة الى قسمين شرعي وادبي لكل منهما نظام خاص حسبما يقتضيه اتجاه الغرض المقصود وتفرضه طرائق الدراسة المصرية من تحرير للمسـائل وتوضيح وتثبت في انتقاد المراجع المقطوع بسلامتها وحذق في المقابلات والاستكثار منها ومن تحقق لاهليـة الطلبة وسبر لمواهبهم الطبيعية حتى يسـلك بهم نحو الفوز المنشود ومن المعلوم ان الذين تولوا تعليم الغير لهـذا المعهد لم يهتموا غالبا للوقوف بطريق التكهن على افكار ومشاعر من تداولوا على حلقاتهم من الطلبة وكأنهم كانوا قانعين بالتلذذ بما يلقونه عليهم من الجمل المنمقة والكلمات الغريبة النـادرة دون اكتراث لما يبقى من ذلك من الاثر الثابت في اذهان السامعين وهذا اسلوب في التعليم عقيم اذ الشرط الاساسي لنيل الغاية المطلوبة من الدرس هو افهام الطالب ما يلقى اليه وتحليل ما تعاصى فهمه عليه وتدريبه على حل ما يستشكله من المسائل المعقدة باستخدام عقله والهامه ، وهـذا ما لوحظ فيما يظهر في البرامج الجديدة واعرب على ادراكه اخواننا المغاربة باقبال شبابهم الناهض على مزاولة العلم بمعهدهم الكبير وتقـاطرهم عليه من جميع انحاء السلطنة والبلدان كما انتبه لذلك سكان القطر المجاور فاخذ ابناؤهم يتسابقون اليه من كل مكان وبالخصوص من مدينة العلم سابقا وحاضرة المغرب الاوسط تلمسان ابتغـاء الكرع من مناهله العذبة واقتناء ما يعز عليهم نيله في اوطانهم من الثقافة العربية الخالصة والعرفان ويحق لابنـاء المغرب والشمـال الافريقي على الاطلاق ان يستبشروا بهذا السعي المحمود وان يعدوه مرحلة مباركة في سبيل النهضة القومية وبعثا حقيقيا لهمم خامدة انامها زمنا طويـلا الخوف من الطغاة والجهل والكسل ومما يبعث السرور والامل في نفوس كل من يهمهم هذا الشأن تضاعف عدد الطلبة بالنسبة للسنة الماضية بحيث لم تعد تأويهم المحلات والمدارس الكثيرة المتفرقة في العاصمة الشريفة وذلك ما حمـل اولي الامر على التفكير في علاج هذه المشكلة العويصة في اقرب الاوقات مهما كلفهم ذلك من الجهود والنفقات لعلمهم اليقين ان صرف الطالب الى مواصلة الكد والاجتهاد يتوقف على راحة باله وانقطاعه لما يضمن له الفوز في تلك الميادين وقد تم فعلا اصلاح بعض تلك المدارس وتجهيزها بكل المرافق الصحية كالمدرسة المحمدية التي اعتنى بها خاصة عاهل المغرب الاعظم مولانا السلطان ابقاه الله فجاءت خير نموذج لما شرع في انشائه وتجديده من المساكن الخـاصة بطلبة العلم وقد دخلنا اثناء تجوالنا بالحاضرة الفـاسية غيرها من المـدارس المنبثة حول الجـامع الاكبر او في حارات بعيدة من عاصمة السادة العلويين وكلها او جلها كما هو معلوم من آثار ملوك المغرب من بني مرين الذين تنافسوا في تنقيحها وزخرفتها باجمل وارق ما يراه الانسان من آيات الصناعة والفن اللذين بلغا منتهى الرقي والابهة في هاتيك الازمان :

تلك آثارنا تـدل علينـا
فانظروا بعـدنا الى الـآثار

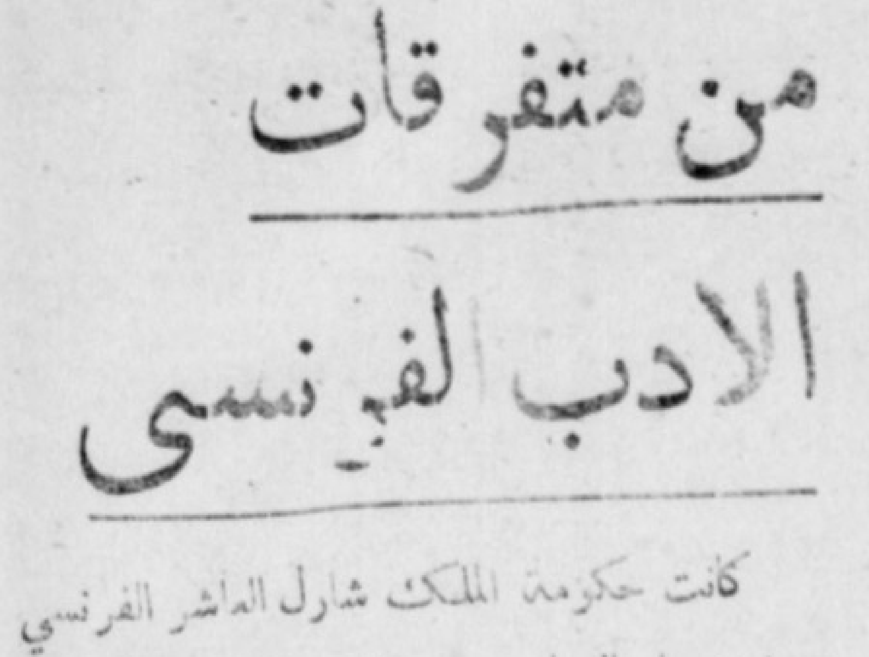
ثم توجهنا الى قاعات الاختبار والمحاضرات التي انشئت في طرف من ملحقات الجامع العظيم فوجدنا غرفا فسيحة الارجاء عالية السقوف واسعة النوافذ كثيرة النور والهواء لا يظن ان يشتكى بها ضيق وازدحام ما لم تخرق التراتيب الموضوعة لتدارك ما يخل بالراحة والنظام .

وبعدها دخلنا المكتبة وحافظها من خيرة الرجال الذين تولوا هـذا الوظيف الشريف اذ جمع بين دماثة الاخلاق و ... ة الاطلاع ومعرفة الطرايق المجربة الكافلة بحفظ الكنوز الموكولة لامـانته وخبرته الفنية فوقفنا بفضله على شيء كثير من المخطوطات العديمة المثال وتبركنا بتصفح بعض المصاحف الجليلة القديمة البالغة درجة نادرة في دقة الخـطوط ورقة التزويق ونفـاسة الورق وتناسب الحروف والاشكال وأطلعنا كذلك على شيء مهم مما وفق لجمعه وترتيبه واصلاحه من الكتب القديمة التي بقيت دهورا مبعثرة بدهاليز الجامع السفلية كادت تتلف نهائيا لولا همة بعض الغيوريين على العلم من الفضـلاء والسادات فتلافوا بعملهم الصـالح ما كان يهدد ذلك التراث النفيس من التلاشي والاضمحلال واستحقوا بصنيعهم هذا تقدير وثناء جميع من يهمهم الاحتفاظ بمـا دونه السابقون من ذوي القرائح واعلام الرجال .

(له بقية)

ـ ص . ز . ـ





كانت حكومة الملك شارل العاشر الفرنسي عرضت على النواب صيغـة امر فيمـا يخص المؤلفات الجديدة . جاء في نصها انه يجب تقديم نسخ من المؤلف للرقابة خمسة ايـام او عشرة ايام قبل نشره ، بحسب طوله .

فناقش الكاتب روايي كولار Royer Collrad الامر المعروض . فقوبل الامر بالرفض وعدلت عنه الحكومة . ومما جـاء في خطـاب روايي كولار ما يلي : « يقول المقرر الرسمي لهـذا الامر الكلمات الغريبة الاتية : لا تتحسـرون على ما يصيب الصحف السليمـة والكتابـات القويمة ، انا ايضا يؤسفني ذلـك ؛ غيـر ان الشر ينتج من الشر مئات اضعاف ممـا يقدر الخير على ان ينتج من الخير . وقد ظن بعضهم حتى الآن خلاف هـذا . فكانوا في غرورهـم يعمهون ، فلذا أخير ان اهاجم الشر ، ولـو اوقفت احيانا تيار الخير ، على ان الاطف الخير مع التحقق من اني اجامل الشر دائما ...) يعني المقرر ايها السادة ، ـ والاستنتاج واضح جلي ـ انه ينبغي تتبع الخير والشر في آن واحـد وقبرهما معا دون تمييز ؛ ولـذا يلزم خنـق الحرية التي بطبيعتها تنشىء الخيـر والشر ؛ فيتعدى هذا الموقف دستور الصحافـة القانوني وما الهدف منه إلّا الانسان نفسه ، وقد عطـل من شهامته الخلقية ، وانتزعت منه ، مع حريته ، فضيلته التي هي سر وجوده في هذا الكون .

فالضغط على الصحـافة ، ـ اذ يرتكز على الافكار التي بسطها المقرر ـ ما هو إلّا اعلان جور وطغيان بعيدي المـدى ، يشملان أسس التعديات كلها ويبرران سائر انواع الضغط ـ . نعم ، ان قانونا مثلا يشمل اهل الشبهات ، متى نظر فيه النظارة الواسعة ، قانونا يرمي بفرنسا باسرهـا في السجن تحت مراقبة الوزارة ، لهو استنتاج طبيعي لهذه الافكار وتطبيق قويم لاصولها ...

ومتى خنقت الحرية ينطفىء نور العقل ، وهو جليسها الاكرم . فالحقيقة خير والغي شر ، ومتى هوجم الشر ، حسب المقرر ، لا ينبغي ان يجامل الخير ؛ فليمت حينئذ الغي والحقيقة معا !

وكما ان السجن هو الدواء الطبيعي للحرية ، فالجهل هو الدواء اللازم للعقل ، والجهل هو العلم الحقيقي للانسان والمجتمع ... »

